قصة الصحافة العربية

في مصر

منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين

تأليف

د.عبد اللطيف حمزة

الكتاب: قصة الصحافة العربية في مصر

الكاتب: د.عبد اللطيف حمزة

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

حمزة ، د.عبد اللطيف
قصة الصحافة العربية في مصر / د.عبد اللطيف حمزة
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٩٧ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٨ – ٩٩٤ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٧١٣ / ٢٠١٩

قصة الصحافة العربية
في مصر





مقدمة

تاريخ الصحافة في كل أمة من الأمم هو تاريخ المعارك القوية التي خاضتها الصحف في سبيل الحرية، وتاريخ المواقف الحرجة والليالي السوداء التي قضاها المحررون الشجعان في أعماق السجون من أجل المبادئ ومن أجل الحرية.

وتاريخ الصحافة في كل أمة هو تاريخ الفكر والفن اللذين فتحت لهما الصحف أبوابها، وخصصت لهما كثيراً من صفحاتها، وقامت برسالتها كاملة من هذه الناحية.

وتاريخ الصحافة في نهاية الأمر هو تاريخ النشاط الاجتماعي الذي أوجبت الصحف على نفسها القيام بتسجيله، كما أوجبت على نفسها أن تكون عملاً من عوامل ازدهاره.

وصحافة الأمة العربية كغيرها من صحافات الأمم الأخرى لها تاريخ مليء بالحوادث والخطوب، مليء كذلك بالأفكار والآراء والمبادئ، مليء بالتيارات الفكرية والأدبية والفنية والاجتماعية، وهو تاريخ مضيء في أكثر جوانبه، ولكنه مظلم في جوانبه الأخرى.

غير أن الصحافة العربية سيئة الحظ من ناحية واحدة فقط، هي ناحية التأريخ، فمنذ أرخ (الكونت فيليب دي طرازي) لهذه الصحافة العربية في كتابه بهذا الاسم لم تجد هذه الصحافة العربية من يؤرخ لها بطريقة علمية صحيحة –أعني بطريقة ليست كطريقة الكونت فيليب طرازي التي هي أدنى إلى أن تكون سجلاً للصحف التي صدرت في البلاد العربية منها إلى أن تكون بحثاً في تطور الصحافة العربية.

على أننا يجب أن نستفتي من ذلك (الصحافة المصرية) التي هي أسعد –من ناحية التأريخ– من بقية الصحافات العربية، فقد ظفرت هذه الصحافة المصرية بمن أرخوا لها بطريقة علمية.

فمن هؤلاء الذين أرخوا لهذه الصحافة المصرية الدكتور إبراهيم عبده وذلك في البحث الذي حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة وعنوانه: تطور الصحافة من سنة ١٧٨٩ حتى سنة ١٩٥١، ولم يكد يسبقه إلى ذلك غير (قسطاكي إلياس عطارة) صاحب كتاب (تاريخ تكوين لصحف المصرية) الصادر بالقاهرة في عام ١٩٢٨، وإن كان هذا الكتاب الأخير أقرب في طريقته إلى كتاب الكونت فيليب دي طرازي الذي سبقت الإشارة إليه.

ومنذ سنة ١٩٥٠ بدأ مؤلف هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ يصدر سلسلة عرفت باسم: "أدب المقالة الصحفية في مصر".

وقد ظهرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة سنة ١٩٥٠، ووصل المؤلف بها إلى الحلقة الثامنة، وفي الطريق إلى المطبعة حلقة تاسعة من حلقات هذه السلسلة، وقضى المؤلف في ذلك العمل خمس عشرة سنة كاملة، وإذا بسط الله له في الأجل فسيمضي في عمله هذا حتى نهايته.

ولم يقف الأمر بالصحف المصرية عند هذا الحد، بل إن خريجي معهد الصحافة وقسم الصحافة بجامعة القاهرة اشتغل بعضهم بتاريخ الصحف المصرية بطريقة علمية وكشفوا الغامض من هذا التاريخ وأضافوا إلى العلم جديداً من هذه الناحية.

فإذا قسنا هذه العناية بتاريخ الصحافة المصرية بقلة العناية بتاريخ الصحافة العربية المصرية لم يسعنا في هذه الحالة إلا إبداء الأسف لهذا الإهمال من جانب الحكومات العربية والشعوب العربية في سد هذا النقص.

لفتت نظري هذه الظاهرة منذ وجدت نفسي في بغداد أقوم فيها بتدريس الصحافة بكلية الآداب، ودعاني ذلك إلى كتابة المقالات التي نشرتها الصحف العراقية، وفيها دعوت الحكومة العراقية والشعب العراقي إلى ضرورة العناية بهذا العمل القومي الكبير، وهو التأريخ للصحافة العراقية بطرق يرضى عنها البحث الحديث، غير أنني حريص على أن أنوه في هذا المجال بالمجهود الكبير الذي قام به الأستاذ رفائيل بطي في محاضراته عن تاريخ الصحافة العراقية، وهي المحاضرات التي ألقاها بمعهد الدراسات

العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، وكذلك ينبغي التنويه بالسجل النافع الذي قام به الأستاذ (عبدالرزاق الحسني) للصحف العراقية، كما لا ينبغي أن أترك هذا المجال دون الإشارة إلى كتاب (الصحافة العربية) للأستاذ أديب مروة، وفيه أشار المؤلف إلى تاريخ الصحافة في مصر ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين وجزيرة العرب وشمال أفريقيا والسودان، وذهب إلى أن للصحافة العربية بذوراً قديمة عند العرب ترجع إلى العصر الجاهلي، ودعاه ذلك إلى الكلام عن نشأة الكتابة العربية وعن فن التراجم والسير ونحو ذلك.

ومع هذا وذاك فليعذرني القارئ إذا قلت أنني مع تقديري العظيم لهذه الجهود أو الكتب التي قام بها أولئك المؤلفون مشكورين لا أراها تحقق الغاية التي تنشدها الجامعات والمعاهد العليا من الدراسات التاريخية الأصلية لكل قطر من الأقطار العربية المعروفة.

وذلك ما دعاني إلى التفكير في مشروع كبير انتهز فرصة هذه المقدمة لأعرضه على السادة العلماء والمؤرخين والصحفيين العرب، وادعوهم بكل ما أملك من قوة إلى المعاونة في هذا المشروع، كلٍ في حدود طاقته وظروفه وبيئته ونوع دراسته، وهذا المشروع الكبير الذي أدعو إليه هو المشاركة فيما سميناه:

"قصة الصحافة العربية"

وهو كتاب سيتألف من أجزاء كثيرة بعدد البلاد العربية المعروفة:

فجزء عن الصحافة المصرية.

وثان عن الصحافة العراقية.

وثالث عن الصحافة السورية.

ورابع عن الصحافة اللبنانية.

وخامس عن الصحافة المغربية.

وسادس عن الصحافة الجزائرية.

وسابع عن الصحافة السودانية.

وثامن عن الصحافة السعودية.

وتاسع عن الصحافة الكويتية وهكذا.

وليس من اليسير بطبيعة الحال أن ينهض باحث واحد –مهما أوتي من قدرة على البحث وصبر على الدرس– بعمل كهذا العمل الضخم.

إن الأولى بكل صحافة عربية في كل إقليم من الوطن العربي أن يؤرخ لها عالم من العلماء الذين ينتمون إلى هذا الإقليم مادام يأنس من نفسه القدرة على ذلك أو مادامت دراساته ومؤهلاته أو ظروفه المهنية تعينه على القيام بشيء من ذلك. من أجل هذا دعوت نفسي وأخواني العرب في كل قطر عربي للمشاركة في إنجاز هذا المشروع لأن فيه سداً لنقص كبير في ميدان من ميادين الثقافة الجامعية من جهة والثقافة العامة من جهة ثانياً.

إن من العيب أن نعيش –نحن العرب– في تاريخ الصحافة العربية إلى اليوم على كتاب بدأه (الكونت فيليب دي طراري) سنة ١٩١٣، بل علينا نحن العرب أن نذود عن كرامتنا العلمية، وأن نبرئ ذمتنا التاريخية والقومية، وأن نشكر المجهود الذي قام به الكونت فيليب أو الرائد الأول لتاريخ الصحافة العربية، ثم نبادر إلى انجاز هذا المشروع الكبير خدمة للقومية العربية والصحافة العربية.

بذلك وحده نستحق احترام الأمم الأجنبية التي لا ينبغي لها أن تقوم عنا بهذا العمل القومي، وتفرض علينا وجهة نظرها في دراسة التاريخ العربي والفكر العربي.

والآن ونحن نقدم إلى القراء هذه الحلقة الأولى من تلك السلسلة التي أطلقنا عليها اسم "قصة الصحافة العربية"، نشعر بأن من حق القارئ علينا أن نشرح له الطريقة التي سرنا عليها في سرد قصة الصحافة المصرية، والأمور التي توخيناها في كتابة هذه القصة.

ومن هذه الأمور ما يلي:

أولاً:– أنني آثرت الإيجاز في سرد هذه القصة التي كتبتها في تاريخ الصحافة المصرية، بحيث يمكن النظر إلى هذا الجزء الصغير من أجزاء هذه السلسلة على أنه مختصر للأجزاء الثمانية أو التسعة التي فرغت من كتابتها بعنوان "أدب المقالة الصحفية في مصر".

ثانياً:- أنني حاولت في هذا الجزء من قصة الصحافة العربية أن أجيب عن هذا السؤال وهو: إلى أي حد استطاعت الصحافة المصرية أن تؤدي واجبها؟ وما هي الصعاب التي واجهتها؟ وما مدى الحرية التي تمتعت بها؟ وما الجهود التي بذلتها في سبيل ذلك؟.

أجبت عن هذه الأسئلة بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة، وتركت للقارئ أن يلاحظ بنفسه سياق القصة التي روت تاريخ الصحافة المصرية، وأن يتتبع أبطالها واحداً واحداً، وأن يؤلف لنفسه من كل ذلك رأياً صحيحاً بقدر المستطاع.

ومن هنا يدرك القارئ الأهمية البالغة التي لدراسة التاريخ الصحفي في العصر الحديث.

فإن كل شعب من الشعوب حريص في وقتنا هذا على أن يعرف كل شيء عن تاريخ نضاله من أجل الحرية والديمقراطية ليرى من خلاله كثيراً من صور حياته السياسية والفكرية والاجتماعية، ومن هنا تبدو الصعوبات التي تواجه مؤرخ الصحافة أكثر بكثير من الصعوبات التي تواجه المؤرخ لأية مادة أخرى غير الصحافة.

ثالثاً:- حصرنا فترة البحث عن الصحافة المصرية في المدة التي تقع بين نشأة (الوقائع المصرية) عام ١٨٢٨ حتى قيام الثورة المصرية لسنة ١٩٥٢.

ومعنى ذلك أن هذه السلسلة التي ندعو إليها سوف تكون بحاجة إلى التجدد المستمر، وهي في هذه الحالة ستكون أشبه شيء بدوائر المعارف

الكبرى، فما لم تتطور هذه الموسوعات بإضافة المعلومات الجديدة من وقت لآخر فإنها تصبح في يوم من الأيام قديمة بالية، وتفقد قيمتها في نظر القارئ بسبب ذلك.

رابعاً:- أننا تحدثنا عن الصحافة المصرية المكتوبة باللغة العربية وأغلقنا الحديث عن الصحافة التي صدرت في مصر باللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية.

ونحن نعلم أن الصحف الفرنسية صدر بعضها بمدينة الإسكندرية حيث الصحف تعني بأخبار التجارة، ولها عناية كذلك بالأدب والاجتماع والسياسة، ومن الأمثلة عليها جريدة (لو بروجريه اجبسيان).

وقل مثل ذلك في الصحف التي ظهرت بمصر مكتوبة باللغة الإنجليزية، ومن هذه الصحف على سبيل المثال:-

جريدة (ذي اجيبشان جازيت) وجريدة (ذي اجيبشان ميل) وجريدة (سفنكس) وغيرها.

خامساً:- لا نستطيع في كتاب صغير في حجمه كهذا الكتاب الذي نسرد فيه قصة الصحافة المصرية أن نأتي على جميع الصحف التي صدرت في مصر في فترة البحث، فإن ذلك أمر يبدو مستحيلاً في واقع الأمر، وقد يغني عنه إلى حد ما ما أوردناه في نهاية الكتاب من القوائم التي اشتملت على أسماء جميع الصحف المصرية منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى عام ١٩٥١،

وذلك نقلاً عن قلم المطبوعات المصرية، وهو المصدر الذي نقل عنه جميع من تعرضوا لتاريخ الصحافة المصرية.

(وبعد) فهذه الحلقة الأولى من السلسلة المسماة (قصة الصحافة العربية) نرجو أن تلحق بها في القريب العاجل بإذن الله حلقات أخرى تحكي كل واحدة منها قصة الصحافة في قطر واحد من الأقطار العربية الأخرى.

والله نسأل أن تسد هذه السلسلة حاجة في نفوس قراء العربية، وأن تملأ فراغاً في المكتبة العربية، وأن تخدم بعض المفاهيم الدراسية في أقسام الصحافة بالجامعات العربية، وأن تذود عن كرامتنا العلية التي تحتم علينا أن نعيد كتابة تاريخنا بأقلامنا من فترة إلى أخرى.

وإلى الله القدير ابتهل أن يوفق زملائنا الذين سيشتركون معنا في هذه السلسلة المباركة للنهوض بهذا الجانب الحي من جوانب الثقافة العربية، ونعني به جانب الدراسات الصحفية.

ومن واجبي في ختام هذه المقدمة أن أقدم أخلص الشكر لجامعة بغداد، فقد ساهمت في نشر هذا الكتاب، كما ساهمت في نشر كتاب (الرأي العام والإعلام والدعاية)، عاشت هذه الجامعة مناراً للعلم وكعبة لطلبة العلم والله الموفق.

المؤلف

مدخل إلى قصة الصحافة العربية

لتدوين الأخبار أو الأفكار قصة معروفة في تاريخ الحضارة لخصها كتاب (الطباعة العامة) [1] في السطور التالية.

"كاتب الكتب المسطورة باليد تستعمل لتدوين الأفكار ونقلها قبل اختراع الطباعة بنحو ألف وخمسمائة سنة، وكان الإنسان البدائي قبل ذلك يعمد إلى وسائل أكثر بساطة تمتد في القدم إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة قبل طريقة التدوين بالكتابة، والمعتقد إلى الآن أن أولى الوسائل لتدوين الأخبار كانت المسلات الحجرية والتماثيل عديمة الحظ من التشذيب أو المهارة الفنية، وكان من أول هذه الوسائل كذلك الحفر على جذوع الأشجار، ثم خطت الإنسانية خطوة جديدة في تدوين الأفكار والأخبار، وتمثلت هذه الخطوة في الحفر على الحجارة، كما كان الشأن عند قدماء المصريين والآشوريين والكلدانيين، ثم حلت رقم الطين المفخور محل الرقم الحجرية الثقيلة، ثم تكللت جهود القدماء بظهور ورق البردي وظهور الرق (بكسر الراء) المستحضر من جلود الغنم والماعز وجلود البقر.

"وربما كانت الصور أولى الوسائل التي استخدمت لنقل الأفكار، وشيئاً فشيئاً ظهر بعدها أسلوب للكتابة أشبه شيء بالاختزال هو

[1] كتاب الطباعة العامة، تأليف كلين يوكليتن عميد مدرسة الطباعة في بتسبرج (بنسلفانيا) وتشارلز بتكن نائب رئيس مجلس الإدارة في شركة نيويورك، وترجم الكتاب إلى اللغة لعربية الأستاذ أنور شاؤول عن طريق مؤسسة فرنكلين ببغداد.

الأسلوب الرمزي، والرموز –وأحسن مثل عليها الكتابة الهيروغليفية التي استعملها القدماء المصريون– لا تتضمن أصواتاً كما في الكلمة المنطوق بها، وإنما تمثل أفكاراً في تنسيق معين".

"ثم تطورت الكتابة الصورية والكتابة الرمزية بعد ذلك، وحل محلها حروف صوتية ما لبثت أن تجمعت فيما يعرف باالألفباء أو الحروف الأبجدية، ثم اكتشفت حديثاً قطع الفخار في فلسطين وأفضت إلى قيام نظرية مؤداها أن الألفباء ظهرت في الوجود قبل ما يقرب من ألفي سنة قبل الميلاد، ومع ذلك فإن الالفباء في شكلها المعروف اليوم قامت على أساس الأسلوب الفينيقي الأول، وهو الأسلوب الذي اقتبسه اليونان حوالي سنة ألف قبل الميلاد وبانتقال مركز الحضارة إلى روما أصبحت الالفباء اللاتينية المبنية على اليونانية هي الالفباء القياسية العالمية".

لاشك أن هذه القصة التي تروي لنا نمو الوسائل الخطية لنقل الأفكار والأخبار تتمشى ونمو الحضارة الإنسانية، ذلك أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن الحضارة إنما بدأت باختراع الكتابة والطباعة باعتبارها الخلف الذي أعقب الكتابة في مهمة نشر الأفكار والأخبار حتى أصبحت عاملاً حقيقياً من عوامل التقدم الإنساني.

ومن المعروف أن حب الإطلاع على الأخبار جزء من الطبيعة البشرية، وهو من الأسباب التي من أجلها نظر إلى الإنسان على انه مدني بالطبع، وإذا كانت الصحافة هي رواية الأخبار على الناس فإنها قديمة قدم

البشرية ذاتها، ومن ثم يمكن النظر إلى النقوش الحجرية في العصور الممعنة في القدم على أنها صحافة من باب التجوز في استعمال هذه الكلمة، ومن هذا القبيل أوراق البردي المصرية التي ترجع إلى أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، ومن هذا القبيل كذلك ما قيل بأنه كان للبابليين مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث وعلى هؤلاء اعتمد مؤرخو القرن الثالث قبل الميلاد في كتابة تاريخ الكلدانيين[1].

بهذا المعنى اتخذت الصحافة أول الأمر؟ الأوامر الحكومية واللائحات التي كان يتوجه بها الحكام إلى الشعب منقوشة على الأحجار والأعمدة في الأماكن العامة أو مكتوبة بصورة أخرى.

ثم أن الشغف بمعرفة أقدم جريدة في العالم يحملنا على القول نها جريدة صينية يقال لها "كين بان" صدرت عام (٩١١) قبل الميلاد وهي صحيفة رسمية أو حكومية.

وأما في (أوروبا) فيقال أن أول جريدة رسمية هي الجريدة التي أصدرها الإمبراطور يوليوس قيصر عقب توليه السلطة عام ٥٨ قبل الميلاد واسمها (Aula Durana) أي (السجل اليومي للأخبار)، وسميت كذلك أي (سجل أخبار الشعب) وذلك لأنها عنيت بأخبار وزودته كذلك بالأخبار الحربية والقضائية وأخبار مجلس الشيوخ.

---

[1] أديب مروة .. ص٥٣.

ثم ظهرت في أوروبا طبقة يقال لها (صناع الأخبار) كانوا يكتبون (الرسائل الإخبارية) التي تهتم أولاً وقبل كل شيء بأخبار التجارة، وازدهرت صناعة الأخبار في انجلترا في القرن الثالث عشر الميلادي، وبعد قرنين من الزمان ظهرت هذه الصناعة في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا.

وأخيراً ظهرت الطبعة في عام ١٤٣٦ للميلاد، اخترعها جوتنبرغ الألماني وبالمطبعة حدثت الثورة الحقيقية في طرق نشر الأخبار وذلك فضلاً عن نشر العلوم والآداب.

ومن هنا ارتبطت نشأة الصحافة الحقيقية بنشأة المطبعة، والتفت الحكام بقوة إلى هذا الاختراع الخطير، وفرضوا نوعاً من الرقابة عليه، ومن ثم ثارت لأول مرة في تاريخ البشرية مشكلة تسمى (حرية الصحافة) غير أن سطوة الحكام بالغت في العقوبات على الصحفيين حتى وصلت بها إلى عقوبة الإعدام، ولذلك عاد الاتجاه إلى نشر الخبر بطرق خفية وذلك عن طريق النسخ لا عن طريق المطبعة وكان كتاب هذه الأخبار يطاردون بقوة ويعاملون بغاية القسوة.

مهما يكن من شيء فقد ظهرت أول جريدة أوروبية بالمعنى الصحيح في فرنسا باسم (جازيت) أصدرها (ثيوفرست) سنة ١٦١٣ لخدمة الملك لويس الرابع عشر، وتوالى إصدار الصحف بعد ذلك في كل من انجلترا وهولندا وغيرهما، واتخذت التدابير المشددة ضد الصحفيين في جميع تلك البلاد حتى كان عهد الملك شارل الأول عام ١٦٤١ فأمر بالتخفيف من

هذه الإجراءات، وتمت الصحافة الانجليزية بحريتها عامين كاملين، واستطاع الصحفيون خلال هذه العامين أن يتعرضوا لنقد الملك والكنيسة والبرلمان، فلم ير البرلمان بداً من فرض الرقابة من جديد على الصحف وذلك عام ١٦٤٣.

وبقى الأمر على ذلك حتى ألغيت الرقابة على الصحف في عهد الملكة آن وذلك في عام ١٦٩٣.

ولسنا نريد هنا أن نسترسل في تاريخ الصحافة الأوروبية فإن ذلك خارج عن موضوع بحثنا، وهو تاريخ الصحافة المصرية.

ومرة أخرى نقول أنه إذا كانت الصحافة هي رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء، فمعنى ذلك أن الصحافة بمعناها المجازي لا الحقيقي عرفها العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وبقية العصور الإسلامية التي توالت عليهم حتى عرفوا المطبعة كما عرفها غيرهم من الناس.

أجل -عرف العرب الصحافة بمعناها المجازي في صورة القصيدة الشعرية التي كانت تعني بتسجيل أحداثهم، وفي صورة كتب السير، وفي صورة المذكرات التي كانوا يسموها (المياومات) وفي صورة الكتب التي كتبت في موضوع الرحلات، وفي صورة الكتب التي كتبت في شكل موسوعات بل في صورة الكتب التاريخية التي عنوا بها عناية كبيرة حتى عهدهم بالطبري وابن الأثير ومن تلاها من كبار المؤرخين.

والحق– أنه إذا كان المقال فناً من فنون الصحافة الحديثة، وكان هذا المقال وسيلة من وسائل تزويد القارئ بالمعلومات الصحيحة، فإننا نقول –ونحن مطمئنون– بأن العرب كانوا يسلكون هذا الطريق ويهدفون إلى هذه الغاية في جميع ما كتبوا أولاً من الرسائل الحرة –ونعني بها الرسائل غير الديوانية– وهي الرسائل التي كان يتولى كتابتها أدباء وعلماء لهم شهرتهم في تاريخ الأدب العربي.

وقد كانوا لشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حيناً ومصدر وصيانة لها حيناً آخر.

فالرسائل التي يكتبها عبدالله بن المقفع إلى الخليفة المنصور كانت من النوع الأول –وهو المخيف للحكام والحكومة، والرسائل التي كان يكتبها الجاحظ في الانتصار لمذهب الاعتزال– وهو مذهب الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري كانت من النوع الثاني.

والذي لاشك فيه أن هذه الرسائل الحرة التي أشرنا إليها كانت –مع القليل من التحوير– صحافة متكاملة للعصر الذي كتبت فيه.

ومن الأمثلة على هذه الرسائل الحرة –وما أكثرها– في الحقيقة ما يلي:

١– رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب إلى الكتاب.

٢- الرسالة السياسية الإصلاحية المسماة بالهاشمية أو رسالة الصحابة لابن المقفع كتبها للخليفة المنصور.

٣- رسائل الجاحظ كلها بدون استثناء.

٤- رسالة مالك بن أنس إلى الرشيد.

٥- بعض رسائل بديع الزمان.

٦- بعض رسائل الأبشيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف).

٧- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

فكل هذه الرسائل قريبة الشبه بالمقال الصحفي مع فارق واحد أو فارقين:-

أولهما من حيث الطول، **وثانيهما** من حيث الزمن المحدد لصدور الرسالة أو الصحيفة، والمعروف أن الصحيفة لها زمن محدد تصدر فيه، أما الرسالة فلم تعرف شيئاً من ذلك، لأنها تقوم على النسخ باليد وذلك بالطبع قبل ظهور المطبعة.

ولنا أن نتصور رجلاً من كتاب القرن الثالث الهجري هو الجاحظ، ما أجدره أن يكون أعظم صحفي بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، لو أنه عاش

في عصر المطبعة، وهو بالفعل كان صحفي العصر العباسي بلا منازع بنقلها إلى القارئ وكان يصف المجتمع عن كل طائفة

وهكذا يمكن النظر إلى كل ما كتب الجاحظ في الحقيقة على أنه من الطرائف الصحفية التي نعي بها الصحافة في الوقت الحاضر.

وفوق هذا وذاك فإن الجاحظ كان بوقاً للمعتزلة، وكان الاعتزال مذهباً للخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري، ومن ثم اعتبر هذا الرجل أو اعتبرت كتاباته صحافة مذهبية ترضى عنها الدولة.

ومثل الجاحظ في ميوله الصحفية كثيرون من كتاب العرب، ونخص بالذكر منهم كتاب الرحلات والجغرافيا أو (وصف المسالك والممالك)، ومنهم على سبيل المثال الاصطخري صاحب كتاب (مسالك الأمم)، وابن حوقل من أبناء القرن العاشر الميلادي وقد نشأ في بغداد وبعلم الجغرافيا وطاف بالعالم ثلاثين سنة، ثم وضع كتابة المسالك والممالك بناء على مشاهداته الخاصة كما يسر الحديث حين يكتب صحفياص في موضوع معين ومثله في ذلك المقدسي، والإدريسي، وابن جبير، وابن بطوطة، وعبد اللطيف البغدادي، وغيرهم.

قصة الصحافة المصرية

الفصل الأول

نشأة الطباعة في مصر

قلنا أن تاريخ الصحافة مرتبط قبل كل شيء بتاريخ المطبعة وقيل أن أول مطبعة استخدمت الحروف العربية هي المطبعة التي تأسست في روما سنة ١٥١٤ للميلاد، وقد طبع فيها خلال القرن السادس عشر عدد من الكتب العلمية بالإضافة إلى الكتب الدينية المسيحية، وكانت ترسل هذه الكتب إلى أسواق الشرق وتباع فيها.

ثم أخذت الطباعة تنتشر في الشرق وفي الأستانة وحروفها عربية، وكانت المطبعة الثانية بالنسبة إلى أول مطبعة عربية ظهرت في الشرق العربي هي المطبعة التي أنشأها البطارقة في حلب في أوائل القرن الثامن عشر نعني سنة ١٧٠٢.

غير أن مطبعة الأستانة لقيت عنتاً شديداً من الحكومة ومن رجال الدين الذين أفتوا يومئذ بأن المطبعة رجس من عمل الشيطان، وبقى الحال على ذلك إلى أن استصدر الصدر الأعظم من السلطان أمراً في سنة ١٧١٢ بالإذن (لسعيد أفندي) الذي صار فيما بعد صدرا أعظم للدولة بإنشاء مطبعة قامت بطبع جميع الكتب عدا كتب الفقه والتفسير والحديث وبقية الكتب الدينية الأخرى.

ثم عرفت الطباعة العربية بعد ذلك في قرية الشوير بجبل لبنان، فقد أنشأ الشماس عبدالله الزاخر أول مطبعة عربية هناك عام ١٧٣٣ وذلك في دير (مار يوحنا)[١].

ثم قامت المنافسة على إنشاء المطابع بين الأرثوذكس أصحاب دير (مار يوحنا) والكاثوليك، فأنشأ هؤلاء مطبعة عربية عام ١٧٥٠ ميلادية.

غير أن مطابع لبنان وسوريا كانت تقتصر إلى ذلك الوقت على طبع الكتب الدينية، ثم توالى بعد ذلك إنشاء المطابع العربية في القرن التاسع عشر، وقامت بطبع الكتب الأدبية والعلمية إلى جانب الكتب الدينية، وكان من أهم المطابع التي ظهرت في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر (مطبعة الآباء اليسوعيين)، ومازالت قائمة إلى اليوم، ولها الفضل في إصدار عدد ضخم من الكتب والرسائل والمعاجم الكبيرة في شتى العلوم والفنون والآداب قديمها وحديثها على السواء، ومن هنا أصبح لها دين كبير في عنق الثقافة العربية.

أما في (مصر) فلم يكن للمصريين عهد بالطباعة قبل مجيء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بقيادة الجنرال ، وقد رأى هذا الرجل أن يصطحب معه إلى مصر مزودة بالحروف اللاتينية والأوروبية ولعربية يستعين بها في طبع البيانات الرسمية والأوامر الحكومية التي يتوجه بها إلى المصريين.

---

[١] خليل صابات، الطباعة في الشرق العربي.

وقامت مطبعة الحملة وقتئذ بمهمة أخرى في إصدار جريدتين وهما: جريدة "لوكوريير" (Le courier) وجريدة "لاديكاد" (La Decade) صدرتا باللغة الفرنسية لا العربية، ووزعت الجريدتان على جنود الحملة الفرنسية، وكانت الصلة منقطعة بين هاتين الجريدتين، والشعب المصري الذي لا يعرف الفرنسية.

ثم فكر الجنرال مينو من قواد حملة الفرنسيين (الذين لم تزد إقامتهم في مصر على ثلاث سنوات من (١٧٩٨-١٨٠١) في إصدار جريدة باللغة العربية واختار لها اسم "التنبيه" وعين لها الشيخ إسماعيل الخشاب مشرفاً أو رئيساً للتحرير، غير أن هذه الصحيفة الأخيرة لم تر النور ولم تظهر للوجود، وخرج الفرنسيون من مصر قبل أن يصدروا عدداً منها.

نعم- جلا الفرنسيون عن مصر ولكنهم أخذوا معهم المطبعة، والبلاد منها حتى كان عام ١٨٢١ فرأينا (مُحَّد علي) والي مصر ينشئ مطبعة حكومية لنشر الأوامر الرسمية، واسمها "المطبعة الأهلية" أو "مطبعة بولاق" وكان يقال لها كذلك "مطبعة الباشا".

وهذه المطبعة هي التي تولت فيما بعد طبع "الوقائع المصرية" التي سنتحدث عنها، ثم قامت المطبعة كذلك بطبع عدد لا حصر له من الكتب القديمة والكتب الحديثة في مختلف العلوم والفنون كما سنشير إلى ذلك في موضعه من هذا البحث.

ذلك تاريخ موجز كل الإنجاز لظهور المطبعة العربية التي لولاها بطبيعة الحال لما ظهرت الصحافة العربية، ولما نشرت الكتب والرسائل والمؤلفات المختلفة بهذا الاتساع، غير أنه وإن كانت مصر تعتبر آخر بلاد الشرق اتصالاً بالمطبعة فإنها عن طريق الحملة الفرنسية من جهة، وطريق محمَّد علي من جهة ثانية تعتبر أول بلاد الشرق تعرفاً على الصحافة.

على أن الصحافة المصرية شيء والصحافة الفرنسية التي صدرت في مصر شيء آخر، فلا يصح النظر إلى هذه الخيرة على أنها صحافة مصرية صميمة، وإن كان المؤرخ مضطراً إلى النظر إلى تلك الصحف التي أصدرتها الحملة على أنها نقطة البداية فقط في تاريخ الصحافة المصرية.

قال الجبرتي في تاريخه عن صحف الحملة: (أن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش).

سنتحدث بعد ذلك عن الصحافة العربية في مصر وسوريا والعراق، وبقية البلاد العربية كلما أمكن ذلك إن شاء الله.

طريقتنا في دراسة تاريخ الصحافة

وستكون لنا طريقة علمية في دراسة الصحافة العربية في هذه الأقطار، وتقوم هذه الطريقة على النظر إلى الصحافة على أنها ظاهرة اجتماعية لابد أن تتأثر وتؤثر في الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة الفكرية في البلد الذي تظهر فيه، فليست المسألة معلومات تعطى للقراء عن الصحافة العربية في كل بلد من هذه البلاد، بل أنها مسألة بحث علمي ينظر إلى الصحيفة أو إلى الصحفي على أنه جزء لا ينفصل عن ذلك المجتمع الذي يعيش فيه، ثم النظر إلى الكتابة الصحفية ذاتها على أنها كائن حي يخضع لقانون النشوء والارتقاء، فيولد ضعيفاً أول الأمر ثم ينمو شيئاً فشيئاً، ويمر في أثناء ذلك بدور الطفولة فدور الغلومة فدور الشباب فدور الرجولة وهكذا.

على هذا الأساس نحن مضطرون إلى أن نبدأ هنا بدراسة الأجواء الفكرية لتي ظهرت فيها الصحافة المصرية أو السورية أو العراقية، ولنا أن ننتقل من ذلك إلى دراسة الصحافة نفسها، وإلى تقسيم هذه الصحافة إلى مراحل لكل مرحلة منها مميزات وخصائص تميزها عن المراحل الأخرى وهكذا.

وسنبدأ بالصحافة المصرية فنراها تمر بهذه الأطوار.

أطوار الصحافة المصرية

١- طور النشأة من سنة ١٨٢٨- ١٨٧٦.

٢- طور الشباب من سنة ١٨٧٧- ١٨٨٢.

٣- طور الرجولة أو الكفاح ضد الاحتلال من عام ١٨٨٢ – إلى قيام الثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩.

٤- طور استكمال الحرية والدستور ١٩١٩ – ١٩٣٩.

٥- الطور الخير وهو طور مكافحة الاستعمار الأوروبي منذ قيام الحرب العالمية الثانية إلى قيام ثورة الجيش.

٦- طور الصحافة المصرية في ظل الثورة الأخيرة التي قام بها الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

تلك هي الأطوار أو المراحل التي مرت بها الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، ولن نخوض في الحديث عن كل واحد منها –كما قلنا– قبل أن نتحدث عن الإطار العقلي والإطار الاجتماعي اللذين سبحت فيهما هذه الصحافة منذ بدايتها.

الفصل الثاني

الأجواء الفكرية للصحافة المصرية في دور النشأة

قلنا أنه لكي نتحدث عن الصحافة في أمة من الأمم لابد أن نقدم لذلك بالحديث عن الأجواء الفكرية والاجتماعية التي عاشت فيها الصحافة التي نريد أن نؤرخ لها، أما الأجواء السياسية لهذه الأمة فهي معروفة ومدروسة في كتب التاريخ ولذلك لا تحتاج منا إلى الدراسة بل يكفي منها مجرد الإشارة.

ونحن نعرف أن الصحافة في مصر كانت أجنبية بحتة أيام الحملة الفرنسية وهي الحملة التي عرفت مصر عن طريقها فن الطباعة، ثم أتى مُحَمَّد علي ووضع لنفسه سياسة يحكم بها الشعب المصري سنعرف بأنها تبنى على الاحتكار بمعنى أنه يحتكر لنفسه كل شيء في البلاد المصرية، ومن ثم احتكر لنفسه الصناعة والتجارة والتعليم والجيش والصحافة، وأصبح مُحَمَّد علي في مصر التاجر الأول والصانع الأول والزارع الأول والمرجع الأول والأخير في كل ما يتصل بأمر التعليم والجيش ولصحافة، وهكذا اكتنفت الصحافة المصرية منذ نشأتها ظروف عادت على الحركة الفكرية في مصر بالانتعاش لسببين كبيرين هما مجيء الحملة الفرنسية من جهة وظهور مُحَمَّد علي من جهة ثانية، وإلى هذين العاملين الكبيرين يضيف المؤرخون عاملين آخرين هما ظهور السوريين في مصر واشتغالهم فيها بالصحافة وبالمسرح

وظهور السيد جمال الدين الأفغاني فجأة في البلاد المصرية وبذرة فيها بذور الحرية، وسنتحدث عن كل عامل من هذه العوامل الأربعة على حدة، وذلك فيما يلي:

١ - الحملة الفرنسية:

يصح النظر إلى الحملة الفرنسية على أنها بداية التاريخ المصري الحديث، فقد كانت الصلة بين مصر والعالم الأوروبي منقطعة أو تكاد، ثم جاء الفرنسيون بحملتهم على مصر فكانت هذه الحملة بمثابة اللقاء الأول بين الشرق والغرب، وبمثابة ناقوس كبير أيقظ المصريين من سباتهم، وفتح عيونهم على عوالم جديدة خرجت بهم من عالم الظلام الذي كانوا يعيشون فيه أيام الحكم العثماني إلى عالم النور الذي اقترن أول ما اقترن بالحملة الفرنسية.

أتى الفرنسيون إلى مصر وأثروا فيها بخيرهم وشرهم، وكان من نتيجة ذلك أن تغيرت نظرة المصريين إلى الحياة، وأخذوا يفهمون بعض المعاني الجديدة، كمعنى الحرية الشخصية ومعنى المساواة، ومعنى الوطن والوطنية، ومعنى الشعب وحقوق الشعب، ونظام الحكم ونحو ذلك، وكانت هذه المعاني الجديدة بمثابة الضوء الأول الذي أنار ظلام الحياة المصرية كما قلنا.

ثم أن هذه الحرية الشخصية التي بدأ يفهمها المصريون آنذاك تناولت كذلك المرأة، فلقد رأى المصريون النساء الفرنسيات سافرات مختلطات بالرجال في غير تحفظ، وفي ذلك يقول الجبرتي: (لما حضر الفرنسيس إلى

مصر ومع بعضهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريرية الملونة ويركبون الخيول والحمير ويسقنها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية وصرافيس العامة).

هذا من حيث فهم المصريين للحرية الشخصية، أما فهمهم للحرية الأدبية والعلمية فقد كان للفرنسيس أثر واضح في ذلك أيضاً، ونحن نعلم أن بونابرت أتى إلى مصر ومعه نخبة من العلماء لدراسة مصر من نواحٍ عدة، وقد كان لهؤلاء العلماء الفضل الأكبر في الكشف عن الكتابة الهيروغليفية التي فتحت للناس باب التاريخ المصري القديم.

ثم أن مهندسي الحملة هم الذين درسوا مشروع قناة السويس، وبونابرت هو الذي أهدى مصر شيئاً آخر هو المطبعة وعرفهم بها، وإذا ذكرنا المطبعة فقد ذكرنا الصحافة.

ثم أن بونابرت هذا عني بأمور أخرى كذلك لا تقل خطورة عن الأمور التي أشرنا إليها: عني بصحة الشعب المصري فأنشأ له المحاجر الصحية، وأنشأ دفتر المواليد والوفيات، وكانت كل هذه الأشياء جديدة على لمصريين إلى ذلك الحين، وبالإضافة إلى المطبعة والصحافة والمحاجر الصحية فتحت الحملة أعين المصريين كذلك على المعامل العلمية التي بهرت أنظارهم وعدوها ضرباً من ضروب الشعوذة أو السحر، ومن ذلك يقول الجبرتي: (من أغرب ما رأيت في ذلك المكان أخذ زجاجة من

الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ويصب منها شيئاً في كأس ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى فغلى الماء ويعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار حجراً أصغر أخذناه بأيدينا ونظرناه بأعيننا... إلخ).

الحرية السياسية

تعلم المصريون كذلك من الفرنسيين الحرية السياسية وذلك أن بونابرت هو الذي أدخل النيابي في مصر بإنشاء ما سماه إذ ذاك بالديوان، وهو الهيئة الحكومية التي اشترك فيها المصريون لأول مرة في تاريخ حياتهم، ومارسوا فيها فن الحكم بذواتهم، ومن ثم تنبه المصريون إلى حقهم في الاشتراك في حكم أنفسهم بأنفسهم.

الإعلان عن مصر أثر من آثار الحملة

وأخيراً كان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر أن الفرنسيين طفقوا يكتبون عنها كتباً كثيرة جعلت لها شهرة واسعة في ربوع أوروبا، وكأن الحملة كانت أشبه بإعلان عن مصر جذب إليها السائحين من كل صوب ولفت إليها السائحين من كل صوب ولفت إليها العلماء والباحثين من كل جهة، وعن هذا الطريق أثرت مصر في الدب الأوروبي وغدت موضوعاً بالغ الأهمية من موضوعات هذا الأدب.

ولا ننس أن الصحافة المصرية في القرن الماضي كان معرضاً جميلاً للأفكار التي أتت بها الثورة الفرنسية وكانت أداة صالحة لنقل هذه الأفكار –وكثير منها كان ملائماً للعقل الشرقي– إلى المصريين وغيرهم من سكان البلاد الإسلامية أو العثمانية.

ظهور محمد علي

أيقظت الحملة الفرنسية عقول المصريين على نحو ما تقدم، وأدرك الشعب أنه لابد له من قوى ثلاث حتى ينهض وهي قوة الجيش وقوة العلم وقوة الصحافة.

وإذا قلنا عن مُحَمَّد على أنه الرجل الذي أنشأ مصر الجديدة فلأنه الرجل الذي فهم هذه الحقيقة المتقدمة، ويحدثنا التاريخ أن العلماء والأعيان اجتمعوا في هيئة مؤتمر وطني عام في الثالث عشر من شهر مايو (أيار) سنة ١٨٠٥ وقرروا خلع الوالي (خورشيد باشا) وتعيين مُحَمَّد علي والياً عليهم بشروطهم.

ومنذ ذلك الوقت شرع الرجل في إصلاحاته العديدة واعتمد في كل هذه الإصلاحات على الفلاح المصري فخلق منه الضابط والطبيب والمهندس والعالم والمعلم والصحفي والأديب والسياسي والحاكم، فعادت للشعب المصري ثقته بنفسه، (أما التعليم) فنحن نعلم أن مُحَمَّد علي في سبيل اهتمامه بالجيش وجعله مصرياً بحتاً فكر في إمداده بالضباط والمهندسين والأطباء والإداريين والصناع، فمن أين يحصل على هؤلاء؟

أمن الأزهر؟ لا– لا يصلح الأزهر لشيء من ذلك، وهنا اتجه تفكير هذا الرجل إلى إنشاء المدارس الحديثة على النموذج الأوروبي، وسرعان ما وجدناه يحتكر التعليم الحديث بهذه الطريقة، ويترك التعليم الديني للأزهر، ولقي الرجل عنتاً في نشر التعليم الحديث في أول الأمر، ثم آمن الناس به آخره، استمدت المدارس الحديثة تلاميذها في البداية من الأزهر، فمنه أخذت مدرسة الطب معظم تلاميذ الدفعة الأولى ومن الأزهر أيضاً أوفدت حكومة مُحَمَّد علي أول بعثة علمية إلى فرنسا سنة ١٨٢٦، وكان من أعضائها رفاعة الطهطاوي، وفي هذه المدارس الحديثة درس التلاميذ علوم الهندسة والكيمياء والطبيعة والطب والرياضة والفنون الحربية وما إليها، ثم فكر مُحَمَّد علي في الاستغناء من طلبة الأزهر وأنشأ الدارس التجهيزية (أو الثانوية) التي تقوم على تغذية المدارس العالية بحاجتها من الطلبة.

واحتاجت هذه المدارس التجهيزية (أو الثانوية) إلى المدارس الابتدائية التي تغذيها بمن تحتاج إليهم من التلاميذ، وهكذا كان التعليم في عهد مُحَمَّد علي يمثل الهرم المقلوب قاعدته إلى أعلى وقمته إلى أسفل.

ونجح هذا التعليم الذي نهض به مُحَمَّد علي:

أولاً: في تغذية الجيش بالضباط والمهندسين والفنيين.

ثانياً: بإمداد حكومة مُحَمَّد علي بالموظفين الإداريين.

ثالثاً: بإعداد المدرسين والمترجمين الذين احتاجت إليهم النهضة الحديثة.

على أن النهضة التي اقترنت بعهد مُحَمَّد علي كانت تقوم أيضاً على أساس آخر له صلة كبيرة بالتعليم، وهذا الأساس الجديد هو:

حركة الترجمة

كان الجيش هو المحور الذي تدور عليه جميع الإصلاحات التي فكر فيها مُحَمَّد علي، ومن أجله عني بالتجارة والصناعة، ومن أجله عني بالتعليم بصفة خاصة، واحتاج الباشا إلى المصانع الكثيرة و؟؟؟ المدارس الحديثة وإلى المدرسين الذين يدرسون للطلبة علوم الهندسة والطب وفنون الحرب، ولم تكن في مصر في ذلك الوقت كتب في هذه العلوم، ولم يكن أمام الباشا إلا سبيل واحد فقط لإدخال هذه العلوم في المدارس الحديثة، وهو سبيل الترجمة، ومن ثم اتجهت حركة الترجمة في عهد مُحَمَّد علي وجهة علمية خالصة، وحصرت المواد المترجمة في الطب والهندسة والكيمياء ثم السياسة والمنطق، ثم الجغرافيا والتاريخ، واعتمد الباشا في هذا العمل الضخم الذي هو الترجمة على السوريين المقيمين في مصر أول الأمر، وذلك ريثما يعود المبعوثون من أوروبا إلى مصر، فلما عاد هؤلاء إلى بلادهم وكل الوالي إليهم هذا العمل، وبلغ من اهتمام الباشا بحركة الترجمة أنه كان يأمر أعضاء البعثة في أثناء وجودهم في أوروبا لتلقي العلم —كان يأمرهم بنقل الكتب التي

يدرسون فيها المواد المختلفة إلى اللغة العربية، وكان يحاسبهم على ذلك حساباً دقيقاً بالغ الدقة.

وما هي إلا أعوام قليلة حتى احتشد في مصر للترجمة جيش كثيف يتألف من عدة فرق: فرقة السوريين، وفرقة المبعوثين، وفرقة خريجي المدرسة التي اقترح الطهطاوي إنشاءها –وتم بالفعل إنشاؤها– وهي مدرسة الألسن، وفرقة الموظفين في الحكومة بزعامة مدير ديوان المدارس حينذاك إبراهيم أدهم بك، ثم فرقة المصححين ممن عهد إليهم بتصحيح الكتب المترجمة تصحيحاً لغوياً في أول الأمر، ثم أصبحوا مترجمين بالفعل في نهايته.

وقد كان لهؤلاء المصححين فضلاً عن التصحيح والترجمة أثر على الثقافة من نوع آخر، وهذا الأثر هو وضع المعاجم الخاصة بشتى العلوم والفنون التي اشتعلوا بتصحيح كتبها ثم اشتغلوا بترجمتها بعد ذلك، وإلى جانب الكتب المترجمة التي يصعب حصرها اتجهت جهود المصريين إلى عمل آخر كان له أعمق الأثر في بناء الصرح الثقافي للأمة العربية، وهذا العمل الأخير هو نشر الكتب العربية القديمة، وقد بلغ عدد الكتب العربية المطبوعة في الأدب والشعر والتاريخ والدين حتى سنة ١٨٢٩ خمسة وسبعين كتاباً، فما ظنك بعدد الكتب العربية التي تم طبعها إلى نهاية القرن التاسع عشر؟

وقد حمل كل هذا العبء الطباعي في عهد مُحَّمد علي ثمان مطابع قام على إنشاءها هذا الرجل، وبذل لها الأموال الكثيرة لكي تقوم بأداء رسالتها على النحو المتقدم.

وفي القرن التاسع عشر جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر كما عرفنا، ودخل الشرق العربي في حساب السياسة الأوروبية منذ ذلك الوقت، وبذل الأوروبيون والمستشرقون جهوداً كبيرة في التراث العربي ونشر الكتب العربية القديمة، وأنشئوا في كل جامعة من جامعاتهم كرسياً لدراسة الأدب العربي والآداب الشرقية، وبهذه الطريقة التقى التيار الأوروبي في نهر الثقافة العربية بالتيار الشرقي، ومن التقاء هذين التيارين نشأ العقل المصري الحديث والعقل السوري الحديث.

وما أغرب الشبه في ذلك بين حركة الترجمة التي نؤرخ لها الآن وحركة الترجمة في العصر العباسي الأول، مع فارق واحد لابد من ذكره، وهو أن حركة الترجمة العباسية كانت نعظم عنايتها بالفلسفة اليونانية والأدب الفارسي، على حين أن حركة الترجمة المصرية كانت معظم عنايتها بالهندسة والطب والكيمياء، وغيرها من العلوم الحديثة، أما حركة الترجمة السورية – ونذكرها هنا على سبيل الاستطراد– فكانت تتجه إلى الأدب لا إلى العلم.وكما أيقظت الفلسفة اليونانية العقلي العباسي وشاركت مشاركة قوية في تكوينه، كذلك أيقظت العلوم الأوروبية للحديثة العقل المصري وأثرت تأثيراً بعيد المدى في اتجاهاته.

الفصل الثالث

الصحف الرسمية في دور النشأة

كما كان لحملة الفرنسيين على مصر كبير اعتناء بضبط الحوادث اليومية في دواوينهم وأماكن أحكامهم –على حد تعبير الجبرتي– فكذا بدا لمحمد علي أن تكون له مثل هذه العناية بضبط الحوادث والأحكام ونحو ذلك، ومن هنا صدرت في مصر طائفة من الصحف الرسمية منها ما ظهر في عهد مُحَمَّد علي، ومنها ما ظهر في عهد إسماعيل، فأما ما صدر في عهد مُحَمَّد علي فصحف أهمها ما يلي:

١- جورنال الخديوي.

٢- الوقائع المصرية.

٣- الجريدة العسكرية.

وأما ما صدر في عهد إسماعيل من الصحف الرسمية فمنها:

٤- صحيفة روضة المدارس.

٥- وصحيفة أو مجلة يعسوب الطب.

معنى ذلك أن الصحافة المصرية بدأت رسمية بحتة؛ لأنها نشأت في جحور الحكام، وعاشت بأموالهم، وخضعت لتوجيهاتهم، ولم يكن لها من هدف سوى ذلك.

على أن دور النشأة في تاريخ الصحافة المصرية شهد كذلك بعض الصحف الأهلية غير الرسمية، ومع ذلك فإن هذه الصحف الهلية غير الرسمية كانت بوحي من الحكام وبأموالهم، وهي لذلك تعتبر صحفاً شبه رسمية، ومنها ما صدر باسم السلطان العثماني، ومنها ما صدر باسم الوالي، وهكذا، فمن الأولى:

صحيفة السلطنة: صدرت عام ١٨٥٧، وكانت لسان حال السلطان العثماني، وكانت تدافع عنه ضد الخديوي سعيد باشا وإلى مصر في ذلك الوقت، والسبب في إصدار هذه الصحيفة أن سعيد باشا أصدر لائحة مالكاً للأرض التي يزرعها بعد أن كانت الأرض كلها ملكاً لولي الأمر وحده، يهب منها ما يشاء لمن يشاء، ولم تقف اصلاحات سعيد عند هذا الحشد بل تجاوزته إلى إصلاح الجيش نفسه.

فقد أخذ يحارب الارستقراطية في داخل الجيش المصري، وعاد إلى استخدام الفلاح المصري في هذا الجيش كما كان يفعل مُحَّد علي، ومن هنا نشأت الداوة بين سعيد والسلطان العثماني، وبسببها عمل السلطان على إصدار جريدة السلطنة.

ثم في عهد إسماعيل ظهرت صحف أهلية أخرى في دور النشأة، ومنها:

١- صحيفة وادي النيل.

٢- صحيفة نزهة الأفكار.

٣- صحيفة روضة الأخبار.

هذه إحصائية تقريبية وليست شاملة للصحف الرسمية وشبه الرسمية أو الأهلية التي صدرت في دور النشأة الذي قلنا أنه يمتد بالتقريب من سنة ١٨٢٨ إلى سنة ١٨٧٦.

وقد أغفلنا ذكر صحيفة مهمة من هذه الصحف عن قصد، وهي صحيفة الأهرام التي صدرت عام ١٨٧٥ لأنها تمثل في الواقع الدور الذي يلي دور النشأة.

جورنال الخديوي

وقد صدرت عام ١٨١٣ وهي السنة التي فرغ فيها مُحَمَّد علي من تنظيم الحكومة وإنشاء الدواوين، ورأى مُحَمَّد علي أن الشئون المالية والزراعية وشؤون التعليم والعمران تحتاج إلى ملخص أو تقرير يقدم إليه باسم "جورنال" وكان الوالي ينظر في هذا التقرير أو الجورنال مرة في الشهر على الأقل، ثم رأى أن هذه المدة طويلة أكثر مما يلزم، فطلب أن يقدم إليه

هذا التقرير كل أسبوع، ثم أصدر أمره إلى المسئولين أن يكونوا مستعدين لتقديمه في أي وقت يشاء، وكان هذا التقرير ينسخ بخط اليد أول الأمر: وبقى على ذلك حتى إنشاء مُحَمَّد علي مطبعة القلعة سنة ١٨٢١ فأصبح التقرير يطبع فيها، أما عدد النسخ التي تصدر منها –أي من هذه الصحيفة– فلم يزد على المائة، وكان صدورها باللغتين العربية والتركية، وكانت تشتمل على الأخبار الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة، وكان يسمح لبعض موظفي الحكومة بالاطلاع على هذا الجورنال، أما الشعب فلم يكن له أدنى صلة بهذه الصحيفة، واستمر الحال على ذلك حتى ظهرت الجريدة الرسمية الثانية ونعني بها:

الوقائع المصرية

تبين للوالي بعد ذلك أن الشعب المصري يجب أن يطلع على أعمال لحكومة وأن يقف على إصلاحات الوالي، وجورنال الخديوي بالصورة المتقدمة ليس له هذا الطابع.

فاتجه الوالي إلى إنشاء جريدة أخرى لهذا الغرض –أو بعبارة أخرى– إلى تطوير (جورنال الخديوي) بحيث يصدر باسم جديد، وهو (الوقائع المصرية)، وقد صدر أول عدد من أعدادها في ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٢٨.

وكانت الوقائع المصرية لذلك تصل إلى أمراء البيت وإلى العلماء ورجال الدين وإلى طلبة العلم في مصر وأوروبا وإلى جميع موظفي الحكومة

بلا استثناء، وكانت الوقائع المصرية بوحي من الوالي تشتمل على خلاصة للحوادث التي تقع في جميع جهات القطر المصري، كما كانت تشتمل كذلك على عبارات الثناء والولاء للوالي ووصفه بالعدل في الحكم ونحو ذلك، وكان شرطاً في مقدمة الصحيفة (أو مقالها الافتتاحي) أن تتضمن هذه العبارات، وكان من عادة الوالي أن يراجع بنفسه مسودات الصحيفة قبل إرسالها إلى المطبعة، كما حرصت الوقائع كذلك على نشر أنباء الجيش وترقيات الضباط والإشادة بانتصاراتهم الحربية.

ثم دخلت الوقائع المصرية في طور ثان من أطوار حياتها، وذلك بمجيء رفاعه الطهطاوي إليها، وذلك عام ١٨٤١ كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

على أن صحيفة الوقائع المصرية هي الصحيفة التي عاصرت الصحافة المصرية في جميع الأطوار التي مرت بها إلى اليوم، ولكنا تحدثنا الآن عن هذه الصحفية في الطور الأول فقط وهو طور النشأة.

الجريدة العسكرية

في بداية حرب الشام سنة ١٨٣٣ فكر مُحَمَّد علي في إنشاء جريدة رسمية إلى جانب الوقائع المصرية وهي الجريدة العسكرية، كانت تصدر كل يومين، وكانت تطبع بمطبعة الجهادية، وقد اقتصرت عنايتها تقريباً على نشر الجرائم التي تقع في آليات الجيش وتنشر الأحكام التي تصدر ضد أصحاب هذه الجرائم، غير أن هذه الصحيفة لم تعش طويلاً وربما كان

سبب ذلك معاهدة لندن سنة ١٨٤٠، ؟؟؟؟ المعاهدة التي حدت من نشاط الجيش المصري فلم تعد هناك ضرورة ملحة للمضي في نشر هذه الصحيفة.

وبالإضافة إلى هذه الجرائد الرسمية التي أنشأها مُحَمَّد علي أصدر هذا الرجل في جزيرة كريت بعد أن استولى عليها سنة ١٨٢٢ صحيفة أخرى سماها ...

وقائع كريدية

وكانت تصدر على نظام شبيه بالوقائع المصرية وتقوم بتسجيل مجالس الحكم في الجزيرة، كما تقوم على تنظيم دعاية للوالي فيربوع هذه الجزيرة، وتدافع عن سياسته، وكانت تطبع باللغتين التركية واليونانية.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم نجد أن هناك صحيفة فرنسية يجب الإشارة إليها وعلى الرغم من أنها ليست من الصحف الرسمية فأنه يصح النظر إليها على أنها كذلك، وهذه الصحيفة هي:

لو مونتيور اجيبشيان

في صيف عام ١٨٣٣ ظهرت صحيفة فرنسية أسبوعية اسمها (لو مونتيور اجيبشان) وكان مقرها مدينة الإسكندرية حيث تقيم الجاليات الأجنبية، وكان مُحَمَّد علي يمدها بالمال اللازم لها، وكان من الأسباب التي دعته إلى بذل هذه المعونة رغبته في مناصرتها له في نزاعه ضد السلطان

العثماني الذي كان ينشر باسمه جريدة أخرى بعنوان (لو مونتير أوتومان) وكانت هذه الأخيرة توالي الهجوم على مُحَمَّد علي، ولا تألوا جهداً في نقد سياسته، والظاهر أن هذه الصحيفة الفرنسية التي نتحدث عنها لم تدم أكثر من ثمانية أشهر.

عودة إلى الوقائع المصرية

ونعود إلى الوقائع المصرية التي هي في حقيقة الأمر أهم الصحف الرسمية فنقول..

مضى عهد مُحَمَّد علي وتلاه عهد عباس الأول فسعيد، وفي عهدها أصاب الحياة المصرية الفكرية شيء من الركود، فأغلق ديوان المدارس (وزارة التربية والتعليم) وأغلقت المصانع والمعامل، وفسد الجيش نفسه بدخول الجند الأرناؤط الذين حاول مُحَمَّد علي أن يتخلص منهم، وتوقفت الوقائع المصرية عن الصدور.

وبقى الحال على ذلك حتى جاء إسماعيل فأصدر أمره أولاً بأن تكون جميع المكاتبات الحكومية باللغة العربية بعد أن كانت باللغة التركية، كما أصدر أمره بإنشاء لمدارس الحربية والعودة إلى إيفاد البعثات إلى فرنسا وأمريكا لتدريب الجيش المصري على النظم الغربية.

كما أصدر أمره بإعادة الوقائع المصرية وبإصدار صحف أخرى علمية وأدبية وحربية، من أهمها صحيفة "يعسوب الطب" وصحيفة "روضة المدارس" وصحيفة "أركان حرب الجيش المصري".

صحيفة روضة المدارس

وهي صحيفة علمية أدبية تولى أمرها بإذن من إسماعيل باشا في ذلك الوقت رفاعه رافع الطهطاوي، وصدر العدد الأول منها في السابع عشر من شهر أبريل (نيسان) سنة ١٨٧٠، وكانت تصدر مرتين في الشهر، ويطبع منها ٢٥٠ نسخة في كل مرة زيدت فيما بعد إلى ٧٠٠ نسخة، وكان يكتب فيها رجال مثقفون بالثقافتين العربية والأوروبية منتخبون لهذه الغاية: فبعضهم يكتب في الجغرافيا، وبعضهم يكتب في التاريخ، وبعضهم يكتب في الكيمياء أو الفيزياء، وبعضهم يكتب في الأدب أو الإنشاء وهكذا.

وأما من الناحية الإخبارية البحتة فكانت روضة المدارس تعني بإخبار التلاميذ والامتحانات، كما كانت تعني بما كان يقال في الامتحانات من الكلمات الافتتاحية والكلمات الختامية، وكلها ثناء على الوالي لتشجيعه حركة انتشار المدارس، وهكذا كانت روضة المدارس أول صحيفة مصرية تعني بالعلوم والآداب، وهي تعتبر أما لجميع المجلات العربية في هذا الميدان كما كانت هذه المجلة في الواقع معرضاً للكتب التي يقوم بتأليفها الأساتذة والعلماء، فقد كان كل واحد من هؤلاء ينشر كتابه العلمي أو الأدبي أو

الفني فصلاً فصلاً في صحيفة روضة المدارس، ثم تجمع هذه الفصول في النهاية وتتألف منها الكتب على اختلافها، وهناك صحيفة أخرى عاشت في دور النشأة وهي ...

مجلة يعسوب الطب

وتعتبر أولى المجلات المصرية بل إنها أقدم الصحف الطبية في الشرق العربي كله، أنشئت عام ١٨٦٥ وكانت تصدر شهرياً، وكان يحررها (مُحَمَّد علي باشا الحكيم) وهو كبير الأطباء المصريين لذلك الحين، واشترك معه في تحريرها عدد كبير من الأطباء المصريين والأجانب على السواء، وكانت تعني بالموضوعات الطبية والصحية وتسلك طريقة علمية في كل ذلك.

وفي عام ١٨٦٥ أيضاً صدرت جريدة رسمية أخرى وهي..

الجريدة العسكرية المصرية

وكانت شهرية وقد اقتصرت بطبيعة الحال على معالجة الموضوعات الحربية والعسكرية واشترك في تحريرها عدد كبير من الضباط المصريين والضباط الأجانب، وظهر فيها كذلك أسماء بعض الكتاب والأدباء، ثم اختفت هذه الجريدة وتركت المكان لجريدة أخرى بعنوان ...

جريدة أركان حرب الجيش المصري

وقد ظهرت عام ١٨٧٣ وكانت صدى لهيئة أركان حرب الجيش المصري التي تألفت في تلك السنة، وكانت أكثر تخصصاً من زميلتها في الفنون الحربية، وكانت تعني بنشر فصول عن وقائع الجيش المصري في الشام والجزيرة العربية وغيرها.

ولا نستطيع أن ندع الكلام عن الصحافة الرسمية في دور النشأة دون أن نقف وقفة خاصة عند رائد الصحافة المصرية في هذا الدور، ونعني به رفاعه رافع الطهطاوي، وسنخص هذا الرائد الأول بفصل من فصول هذا الكتاب، وإن كان هذا الكتاب لن يتسع لشخصية صحفية أخرى من الشخصيات الرائدة في كل مرحلة من المراحل التي مرت بها الصحافة المصرية[١].

---

[١] ولمن أراد التعرف على هذه الشخصيات الصحفية الكبيرة أن يرجع إلى كتاب "أدب المقالة الصحفية" بأجزائه الثمانية للمؤلف.

وفيها الكلام عن كل من: رفاعه الطهطاوي، وعبدالله أبي سعود، ومحمَّد أنسي، وفارس الشدياق، والبستاني، والبازجي (في الجزء الأول) وأديب إسحاق، ومحمَّد عبده، وعبدالله النديم (في الجزء الثاني)، وإبراهيم المويلحي (في الجزء الثالث)، والسيد علي يوسف (في الجزء الرابع) ومصطفى كامل (في الجزء الخامس)، وأحمد لطفي السيد (في الجزء السادس)، وأمين الرفاعي)في الجزء السابع)، وعبدالقادر حمزة (في الجزء الثامن)، وفي الطريق إلى المطبعة بمشيئة الله تعالى (الجزء التاسع) وموضوعه (الدكتور محمَّد حسين هيكل في جريدة السياسة).

الفصل الرابع

رفاعه الطهطاوي

أو الرائد الأول للصحافة المصرية

لا نستطيع أن ندع الكلام عن الصحافة المصرية في دور النشأة دون أن نقف وقفة خاصة عند رائد الصحافة المصرية في هذا الدور، ونعني به رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٢).

وهو أول رائد من رواد النهضة الحديثة.

وأول زعيم لحركة النقل أو الترجمة.

وأول أستاذ من أساتذة الصحافة وأعلامها في مصر.

لكن ما هي العلاقة بين الصحافة والترجمة، وكيف جمع الرجل بينهما؟ وما السبب في ذلك؟

نحن نعلم أن النهضة التي شملت البلاد المصرية في القرن التاسع عشر إنما قامت على عمد كثيرة من أهمها العمد الثقافية البحتة، ومن أهمها إذ ذاك عمود المدارس الحديثة وعمود الترجمة.

ونحن نعلم أيضاً أنه كان لزاماً على الصحافة المصرية منذ نشأتها أن تساير النهضة وتجري معها في شوط واحد، ولذلك أوجبت الصحافة المصرية على نفسها أن تجعل الهدف الثقافي أول هدف لها في دور النشأة، ومن هنا كان رائد الصحافة الأول رفاعه الطهطاوي يجمع بين الصحافة والترجمة.

ولد رفاعه الطهطاوي بمدينة طهطا بصعيد مصر، وذلك عام ١٨٠١ميلادية وقضى خمس سنوات في الأزهر نجح بعدها للتدريس في هذه الجامعة الإسلامية الكبرى، وكان من أساتذته في هذه الجامعة الشيخ حسن العطار، وهو شيخ واسع الأفق مولع بالرحلات، عرف بمرونة عقلية لم تكن في زملائه من شيوخ الأزهر في ذلك الوقت، كما كان الشيخ العطار مولعاً بالعلوم التي لا يأبه لها الأزهر حينذاك كعلم التاريخ وعلم الجغرافيا وقد غرس الشيخ كل هذه الميول في تلميذه رفاعه.

وحين طلب مُحَمَّد علي إلى هذا الشيخ أن يختار له إماماً لبعثة علمية إلى فرنسا اختار له رفاعه، فسافر في السادس من رمضان عام ١٢٤١هـ (الموافق ١٤ من أبريل — نيسان –١٨٢٦م) إلى فرنسا.

وأوصى الأستاذ تلميذه يومئذ بأن يسجل كل ما يراه في رحلته من بدايتها إلى نهايتها، ففعل التلميذ ذلك وتألف له من ذلك كتاب مشهور هو كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وينظر الباحثون إلى هذا الكتاب على أنه نقطة التحول في تاريخ مصر من الناحيتين العقلية

والسياسية، وفي هذا الكتاب وصف رفاعه كل ما شاهده في باريس من الأحداث السياسية والمجامع العلمية ودور الكتب ومعاهد العلم والمتاحف الأثرية –أو خزائن المستغربات كما سماها–، وكان مما شاهده رفاعه في باريس تلك الثورة العنيفة التي قام بها الشعب الفرنسي ذد الملك شارل العاشر ووزيره بوليناك، وكانا معروفين بنزعتهما الاستبدادية فغضب عليهما الشعب وثار لمبادئ الحرية والإخاء والمساواة، وعرفت ثورته هذه في التاريخ باسم الأيام الثلاثة المجيدة، واسقط شارل العاشر وأقام مكانه الملك لويس فيليب، وعني الطهطاوي فوق ذلك بترجمة العهود التي أخذها الشعب الفرنسي على ملوكه وهي العهود التي أطلق عليها الفرنسيون اسم (Chartes)، وقد ترجم الطهطاوي هذه الكلمة الفرنسية بلفظة (شرطه) وهي كلمة عربية تحمل نفس المعنى، وفي هذا الكتاب كذلك تحدث الطهطاوي عن نظام الحكومة الفرنسية ومجلس النواب الفرنسي.

وعرف الطهطاوي من الثقافة الفرنسية قدراً كبيراً أصبحت به ثقافة هذا الرجل موسوعية الطابع ثم أتى وقت امتحانه في نهاية المدة التي أقامها في باريس وهي خمس سنوات، فقدم الطهطاوي إلى لجنة الامتحان اثنتي عشرة رسالة مترجمة في علوم شتى كالتاريخ والتقويم والكيمياء ودوائر المعارف وأخلاق الأمم والجغرافيا والهندسة والفنون الحربية والميثولوجيا والساسية .. إلخ.

وعاد الرجل إلى مصر وعين مترجماً بمدرسة الطب ثم نقل منها إلى مدرسة الطوبجية، ثم اقترح على الوالي إنشاء (مدرسة الألسن)، فأمر الوالي

بإنشائها وبتعيين رفاعه مديراً وأستاذاً لها، ثم ألحق بالمدرسة قلم للترجمة، وبلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجو هذه المدرسة ألفي كتاب في علوم التاريخ والهندسة والفنون الحربية والقانون وغيرها.

ومضى عهد مُحَمَّد علي وخلفه عباس الأول، وكان رجلاً رجعياً فأمر بإلغاء مدرسة الألسن وسافر رفاعه إلى السودان وعين بها مديراً لمدرسة مصرية وذلك في ١٠ نوفمبر –تشرين الثاني –سنة ١٨٤٨، وهناك طال منفاه ثلاث سنوات شغل نفسه في خلالها في ترجمة الرواية الفرنسية (تلايمك) إلى العربية ثم تولى سعيد باشا حكم مصر سنة ١٨٤٥ ميلادية فأمر بإعادة الطهطاوي إلى مصر وعين ناظراً للمدرسة الحربية بها، إذ ذاك عاوده الحنين إلى مدرسته القديمة وهي مدرسة الألسن فمازال بالخديوي حتى أمر بإعادة المدرسة وإعادة قلم الترجمة.

على أن الطهطاوي كانت له عناية كذلك بنشر الكتب العربية القديمة إدراكاً منه أن هذه الكتب لابد أن تشترك مع الكتب الأوروبية الحديثة في تكوين العقل العربي الحديث، فنشر كتباً عديدة منها "الفخر الرازي"، وكتاب "معاهدات التنصيص"، وكتاب "خزانة الأدب"، و"مقامات الحريري" وغير ذلك.

وبذلك يكون رفاعه الطهطاوي أول من وضع عمادين كبيرين من عمد النهضة الحديثة وهما عماد الترجمة وعماد النشر، وإليهما أضاف الرجل عموداً ثالثاً من أعمدة النهضة وهو عمود التأليف، وكان ذلك في عهد إسماعيل.

وكان الهدف الأول من التأليف عند الطهطاوي وضع الكتب التي تحتاج إليها المدارس الحديثة في مادة اللغة العربية ومادة التاريخ ومادة يصح أن نسميها بحق (مادة الثقافة العامة) فمن أجل اللغة العربية وضع الطهطاوي كتباً حديثة في النحو مثل كتاب (التحفة المكتبية في القواعد والأحكام والأصول النحوية)، كما وضع كتباً في المطالعة مثل كتابه (مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية).

ومن كتبه في التاريخ كتابه في السيرة النبوية الشريفة وعنوانه (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)، وكتابه (أنوار توفيق الجيل في أخبار مصر وتوفيق بن إسماعيل)، ومن كتبه في الثقافة العامة كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين).وقد أحصى صالح مجدي في كتابه (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن)، مؤلفات الطهطاوي –عدا كتبه المترجمة– فأربت على سبعة عشر كتاباً قال أنها في الرحلات والجغرافيا والنحو والبلاغة والشعر والأدب والفقه والقانون والقصص والهندسة والطب.

(وبعد) فمرة أخرى نقول إننا أتينا بترجمة للرائد الأول للصحافة، بالرغم من أن تراجم الرواد لا مكان لها في الحديث الموجز عن تاريخ الصحافة، ولكن عذرنا في ذلك واحد، وهو أن رسالة الصحافة المصرية في الدور الرسمي من أدوارها لا تتضح مطلقاً إلا بهذه الطريقة، لذلك ترانا لا نلتزم نفس الطريقة مع رواد الصحافة المصرية في أدوارها التاريخية التي تلي هذا الدور.

الفصل الخامس

الصحافة الأهلية في دور النشأة

قلنا إن دور النشأة شهد لونين من الصحافة المصرية..

أولهما:- اللون الرسمي أو الحكومي.

والثاني:- اللون الأهلي أو الشعبي غير الحكومي.

وكانت الصحف الرسمية الحكومية -كما رأينا- تعبيراً صادقاً عن حياة الدولة من جهة وعن سياسة الحكام واتجاهاتهم من جهة ثانية.

ثم ولى الحكم إسماعيل سنة ١٨٦٣ فشهدت البلاد في عهده ميلاد الصحافة الأهلية وكانت لذلك أسباب عديدة منها ما عجل بظهورها، ومنها ما ساعد بعد ذلك على نموها، وهذه الأسباب هي:-

١- أن الكيان الشعبي لمصر قد بدأ يتكون في ذلك الوقت.

٢- رغبة إسماعيل في الاعتماد على الصحافة الأهلية في الدفاع عنه ضد الباب العالي من جهة، وضد الأجانب المقيمين في مصر من جهة ثانية، وضد الحكومات التي ينتمي إليها أولئك الأجانب آخر الأمر، غير أن الصحافة الأهلية كانت في الواقع سلاحاً ذا حدين، فقد دافعت عن إسماعيل ضد هذه الجهات وأرختة من هذه الناحية،

وانبرت في الوقت نفسه لنفذ سياسة إسماعيل وأحرجته من ناحية ثانية.

٣- قيام الحرب الروسية التركية، وسخط إسماعيل بينه وبين نفسه على هذه الحرب، وعدم رغبته في تقديم المساعدات للسلطان آنذاك وتركه الصحافة المصرية لأول مرة في تاريخها تتحدث عن هذه الحرب بحيرة وطلاقة لا عهد لها بهما من قبل، ومعنى ذلك أن نشوب هذه الحرب وإن لم يكن من الظروف التي عجلت بظهور الصحافة الأهلية، إلا أنه كان من الظروف التي ساعدت على نموها فيما بعد، ذلك أن الصحف الأهلية ظهرت قبل نشوب الحرب الروسية التركية بسنوات قليلة.

٤- أن حركة التنوير أو الحركة الفكرية التي تحدثنا عنها في الفصول الماضية كانت قد أتت أكلها وأنتجت ثمارها، وكان من نتيجة ذلك أن بدأ في مصر بما يسمى بالرأي العام المصري.

٥- أن هذا الرأي العام المصري أخذ يتحدث في أمور كثيرة منها: استبداد إسماعيل والديون التي غرق فيها لأذنيه، ومنها التدخل الأجنبي الذي كان نتيجة حتمية لهذه الديون، ومنها النزاع الذي كان بين الخديوي والباب العالي، ومنها قيام الحرب الروسية التركية، وانقسام الرأي المصري إذ ذاك إلى فريقين: فريق يتحمس للأتراك وآخر يتحمس للروس، كما وانقسمت الصحف المصرية الأهلية

تبعاً لذلك إلى فريقين أيضاً، فريق يظهر الإعجاب بأبطال الترك كما فعلت جريدة مصر لأديب إسحاق، وفريق يظهر الإعجاب بأبطال الروس كما فعلت جريدة الوطن لصاحبها ميخائيل عبد السيد.

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الصحافة الأهلية في مصر سببان آخران كذلك هما:

٦- ظهور السيد جمال الدين الأفغاني في مصر فجأة، وما قلناه عن الحرب الروسية التركية هو ما نقوله عن ظهور السيد جمال الدين الذي عاش في مصر بين عامي ١٨٧١، ١٨٧٦.

٧- هجرة السوريين إلى مصر ومشاركتهم في أسباب النهضة المصرية على النحو الذي شرحناه في الكلام عن الأجواء الفكرية التي عاشت فيها الصحافة الأهلية بعد الصحافة الرسمية، ونخص هذين السببين الآخرين بكلمة موجزة فيما يلي:

السيد جمال الدين الأفغاني

ظهر السيد جمال الدين الأفغاني في مصر وقضى بها ست سنوات من (١٨٧١-١٨٧٦) كانت كلها خيراً وبركة، ونظرت إليه مصر يومئذ على أنه رسول الحرية، وكانت مصر ءذ ذاك قد ساءت أحوالها المالية بسبب ديون إسماعيل، ونكبت البلاد بتدخل الدول الأجنبية التي نشأت فيها نظام (المراقبة الثنائية) على أموال الدولة المصرية، ثم أنشأت في البلاد

نظام (الوزارات المختلطة) وبه أصبح في الوزارة وزيران أجنبيان أحدهما إنجليزي والأخر فرنسي.

في هذه الظروف هبط الأفغاني إلى مصر وانتهز فرصة سوء الحال بها فقام بإلقاء دروس موضوعها في الظاهر المنطق والفلسفة وهي في الحقيقة أو الباطن شرح لفكرته الخاصة عن حالة المسلمين بعد أن أصبحوا فريسة للاستعمار الأوروبي، وكان السيد جمال الدين الأفغاني يسلك لذلك طريقة ؟؟؟؟؟ هي طريقة الكتابة في الصحف، وكان من تلاميذه إذ ذاك كثيرون: منهم مُحَمَّد عبده، وسعد زغلول، وأديب إسحاق، وعبد الله النديم، ويعقوب بن ممنوع وهو رجل إسرائيلي حمل لواء الصحافة الساخرة في مصر.

وهكذا حمل السيد جمال الدين الأفغاني لواء الإصلاح في مصر وهو إصلاح ذو شعبتين، إحداهما سياسية، والأخرى ثقافية، وأتى تلاميذه من بعده فاستقل كل منهم بشعبة واحدة منهما.

وأوحى الأفغاني في أثناء مقامه في مصر إلى كثير من المصريين والسوريين بإنشاء الصحف التي منها.

١- صحيفة مصر لصاحبها السيد أديب إسحاق، وهو سوري.

٢- صحيفة التجارة لصاحبيها أديب إسحاق وسليم النقاش.

٣- جريدة أبي نظارة، ليعقوب بن صنوع.

٤- صحيفة العروة الوثقى، وهي الصحيفة التي تولى إصدارها بنفسه السيد جمال الدين بالاشتراك مع الشيخ مُحَّد عبده حين كانا منفيين معاً في باريس.

السوريون في مصر

فر الكثيرون من السوريين إلى مصر ليتمتعوا فيها بحرية نسبية وليقوموا فيها بنشاط أدبي وفني وصحفي لفت أنظار الحكومة والشعب المصري حتى أعتقد الكثيرون خطأ أن الصحافة الأهلية في مصر إنما نشأت بفضل أولئك السوريين وحدهم، والحقيقة غير ذلك، فقد بدأت هذه الصحافة الأهلية في مصر بداية مصرية بصحيفة وادي النيل التي ظهرت عام ١٨٦٧ وكان يقوم بتحريرها مصري اسمه عبدالله أبو السعود، وكان يعتمد في إصدارها كما قلنا على مال إسماعيل ووحي إسماعيل، ثم تلتها صحف أهلية أخرى منها على سبيل المثال.

١- صحيفة نزهة الأفكار لصاحبيها إبراهيم المويلحي وعثمان جلال.

٢- صحيفة روضة الأفكار لصاحبها مُحَّد أنسي وهو نجل عبدالله أبي السعود صاحب جريدة وادي النيل.

وهكذا طفقت الصحف الأهلية تنافس الصحف الرسمية منافسة قوية حتى بدأت هذه الصحف الرسمية تزول من الوجود المصري واحدة

بعد أخرى، ولم يبق منها على الزمن غير صحيفة واحدة هي صحيفة (الوقائع المصرية) التي مازالت موجودة إلى اليوم.

ومهما يكن من شيء فإن دور النشأة لم يشهد من الصحف الأهلية غير عدد قليل جداً أهمها صحيفتان هما:

١- صحيفة وادي النيل، لعبدالله أبي السعود.

٢- صحيفة نزهة الأفكار للأديبين إبراهيم المويلحي وعثمان جلال.

صحيفة وادي النيل

قلنا أن إسماعيل كان له في محاربة التدخل الأجنبي في مصر طريقان لا ثالث لهما، وهما طريق مجلس شورى النواب الذي تم تأسيسه عام ١٨٦٦ للميلاد، وطريق الصحف الأهلية شبه الرسمية ومنها صحيفة وادي النيل التي تأسست سنة ١٨٦٧ ميلادية.

لذلك أوصى إسماعيل إلى رجل مصري هو (عبدالله أبو السعود) بإنشاء هذه الجريدة، وكان هذا الرجل قد تخرج في مدرسة الألسن على يد أستاذه رفاعه رافع الطهطاوي، وعين بعد تخرجه مباشرة رئيساً لقلم الترجمة الذي أنشئ في عهد إسماعيل أيضاً، وكان في الوقت نفسه أستاذاً لمادة التاريخ بمدرسة دار العلوم وأستاذاً لمادة الترجمة في مدرسة الألسن.

والمهم أن نعرف أن صحيفة وادي النيل كانت صورة دقيقة من الوقائع المصرية، وقد كتب تحت عنوانها هذه العبارة (جريدة علمية أدبية سياسية أسبوعية).

وأما مواد الصحيفة فكانت كما يلي:

١- الحوادث الداخلية، أو أخبار الأسبوع.

٢- مجلس شورى النواب المصري، وأخبار هذا المجلس منقولة بالنص عن صحيفة الوقائع المصرية.

٣- إعلانات الصحف الجديدة التي تصدر في العالم الإسلامي.

٤- وريقات وادي النيل، وهي عبارة عن صفحة الإعلانات عن المطبوعات الجديدة والمنشورات المفيدة، وفي هذه الصفحة كان يعلن بعض رجال العلم والأدب عن كتبهم ومؤلفاتهم ونحو ذلك.

٥- بعض فصول من الكتب الأدبية والتاريخية القديمة، وكان أول كتاب أعلنت عنه الجريدة هو كتاب (رحلة ابن بطوطة).

٦- مادة الزراعة.

صحيفة نزهة الأفكار

لصاحبيها إبراهيم المويلحي وعثمان جلال، صدرت عام ١٨٦٩، وظهر أنه لم يصدر منها –فيما يقال– غير عددين فقط، ثم أتاها أمر الإلغاء فألغيت وكان هذا الإلغاء نتيجة لما بدأت تفعله هذه الجريدة من توجيه النقد للحكومة، فرأت الحكومة أن من الخير لها أن تبادر إلى إلغائها حتى لا يستفحل أمرها وتصبح خطراً يصعب اتقاؤه فيما بعد.

(وبعد) فقد تميزت الفترة التاريخية التي شهدت ميلاد الصحافة الأهلية في مصر بهدوء سياسي نسبي، وكانت البلاد قد استراحت في أثنائه من مشكلاتها السياسية بعض الشيء، وكانت الثورة العرابية قد أخفت اشتراطها، ولا يكاد يوجد في مصر من يتنبأ بحدوثها أو يتكهن بقرب نشوبها.

واستمر الحال على ذلك حتى بدأت الصحافة المصرية دوراً جديداً في تاريخها، وهو دور الشباب أو دور الكفاح من أجل الحرية، وذلك ما سنتحدث عنه في الفصل الآتي.

الفصل السادس

الصحافة المصرية في دور الشباب

أو دور الكفاح من أجل الحرية ١٨٧٥–١٨٨٢

قلنا بأن من الأمور التي مهدت لظهور الصحف الأهلية وتفوقها على الصحافة الرسمية أمرين عظيمين هما:

١- ظهور السيد جمال الدين الأفغاني في مصر فجأة وقضاؤه في مصر ست سنوات ما بين ١٨٧١–١٨٧٦.

٢- ونشوب الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧.

ولسنا بحاجة إلى إعادة القول في هذين الحدثين الكبيرين اللذين أعانا على تكوين الرأي العام المصري، لذلك شبت الصحافة المصرية عن الطوق، وأخذت تنمو وتترعرع حتى جاوزت دور النشأة إلى دور الشباب، وكان من دلائل ذلك ما وجدناه من العدد الوفير من الصحف الأهلية، فهي ظهرت في تلك الفترة القصيرة التي لم تزد على سبع سنوات، والتي تمتد بين عامي ١٨٧٥– ١٨٨٢، كما كان من دلائل شباب الصحافة المصرية أيضاً ذلك القسط الكبير من الحرية التي تمتعت بها الصحف في ذلك الدور، ومن الصحف الأهلية التي صدرت إذ ذاك ما يلي:

١- الأهلي ١٨٧٥.

٢- الوطن ١٨٧٧.

٣- مصر ١٨٧٧.

٤- التجارة ١٨٧٧.

٥- أبو نظاره ١٨٧٧.

وإلى جانب الصحف الأهلية المتقدمة رأينا كذلك الصحف التالية:

٦- مرآة الشرق ١٨٧٩.

٧- مصر الفتاة ١٨٧٩.

٨- مصر القاهرة ١٨٧٩.

٩- البرهان ١٨٧٩.

١٠- الطائف ١٨٨١.

١١- المفيد ١٨٨١.

١٢- التنكيت والتبكيت ١٨٨١.

يضاف إلى كل ذلك جريدة الوقائع المصرية التي أدت دورها كاملاً في طور الشباب، كما أدت دورها كاملاً في طور النشأة، وقد عاشت هذه

الصحيفة أزهى عصورها في الفترة بين عامي ١٨٨٠، ١٨٨١ حين كان يتولى تحريرها الشيخ مُحَّد عبده بعد أن وضع لها نظاماً حديثاً من حيث التحرير والإدارة، وجعلها تصدر باللغة العربية وحدها وابتعد بها عن الطابع الرسمي، وقربها كثيراً من الصحف الأهلية، وزخرت الوقائع المصرية إذ ذاك بالمقالات الاجتماعية والفلسفية والدينية، وشاركت مشاركة قوية في حركة الإصلاح، وكان يعاون الشيخ مُحَّد عبده في تحرير الوقائع نخبة من تلاميذ الأفغاني، ومنهم الشيخ عبدالكريم سلمان، وسعد زغلول، وإبراهيم الهلباوي وغيرهم.

علينا بعد ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند أكثر الصحف المتقدمة:

الأهرام

قام بتأسيسها رجلان لبنانيان وهما سليم وبشارة تقلا، ونشأت الأهرام أسبوعية بمدينة الإسكندرية حيث تقيم الجاليات الأجنبية وتروج الحركة التجارية، ثم انتقلت إلى القاهرة وأخذت تصدر أسبوعية كذلك، وكانت نظارة الخارجية قد اشترطت على صاحبي الأهرام ألا يخوضا في السياسة، وفعلا ذلك حتى قامت الحرب الروسية التركية، فتدخلت الأهرام كغيرها من الصحف المصرية في الشؤون السياسية،وانتهت الحرب وأصبحت البلاد المصرية موضوعاً للمساومات لسياسية في محادثات الصلح بين تركيا والبلاد الأوروبية، فكان ذلك من الدوافع التي دفعت الصحافة المصرية إلى خوض موضوع جديد عليها كل الجدة، ونعني به

(وضع مصر الدولي)، ومن ذلك الوقت اتسع مجال الصحافة، كما اتسعت الفرص لتكوين الرأي العام المصري، وعاد ذلك على الصحافة الأهلية بالنضج الحقيقي والإدراك الصحيح لواجب الصحفي.

ثم تظهر في الأفق المصري غيوم تكفهر لها سماء مصر ويزداد تدخل الأجانب فيها، وتضطرب الأمور في أواخر عهد إسماعيل، ويشتد السخط العام على هذه الحالة، وتعبر الصحف عن كل ذلك، ويزداد نصيبها من الحرية، ثم يعزل إسماعيل عن العرش عام ١٨٧٩ ويتولى ابنه توفيق حكم البلاد، وتسمع لذلك رنة فرح كبير في الدوائر الصحفية، وتحسن الصحف استقبال توفيق، ثم سرعان ما تبين لها ضعف هذا الوالي الجديد أمام الأجانب، وخضوعه خضوعاً تاماً لمشورة هؤلاء الأجانب وخاصة حين أشاروا عليه بطرد جمال الدين الأفغاني من مصر إلى فرنسا، فماذا كان وقف الأهرام في تلك الآونة؟.

خاضت الأهرام المعركة وأخذت جانب المعارضة ضد الخديوي، ولكنها وقفت في الوقت نفسه إلى جانب فرنسا فاضطرت الحكومة إلى إغلاقها، واضطر صاحبها إلى إصدار جريدة أخرى بعنوان (صدى الأهرام)، ثم أمرت الحكومة بإغلاق الأخيرة أيضاً، ثم سمحت بالإفراج عن الأولى وذلك بفضل مساعي القنصلية الفرنسية.

(والخلاصة) أن حياة الأهرام في دور الشباب (و في الطور الأول من أطوار عمرها الطويل) كانت حياة كفاح من أجل الوجود، وكفاح من أجل الحرية.

الوطن

وهي جريدة سياسية أسبوعية يحررها رجل من أقباط مصر هو ميخائيل عبدالسيد، وقد اشتركت جريدة الوطن كزميلاتها من الصحف في الحديث عن الحرب الروسية التركية وأخذت جانب الروس ضد الأتراك، وكانت الحكومة المصرية إذ ذاك في خلاف مع السلطان العثماني جعلها تتغاضى عما تنشره الصحف من كل ذلك.

ومن الأمور السياسية التي خاضت فيها الصحيفة كذلك أمر تعيين أول وزارة مصرية برياسة نوبار باشا، وقد عرفت في التاريخ باسم الوزارة المختلطة لاشتمالها على وزيرين أجنبيين أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي وكان من سيئات صحيفة الوطن أنها أحسنت استقبال هذين الوزيرين أول الأمر وتفاءلت بقدومهما، ثم خيب الوزيران أملها بعد ذلك.

ثم رأينا صحيفة الوطن بعدئذ تعدل عن خطتها الأولى وتهاجم الوزيرين الأجنبيين وتدافع عن النواب لمصريين في داخل مجلس شورى النواب وتؤيدهم في هجومهم على الوزارة المختلطة وتبلغ في هذا المجال شأناً بعيداً.

مصر

أصدرها شاب سوري هو أديب إسحاق بوحي من أستاذه جمال الدين الأفغاني، وكان يشاركه في تحريرها صديقه سليم النقاش، وكان مقرها القاهرة، ثم نقل مقر الجريدة إلى الإسكندرية، وكانت لهذه الجريدة جرأة كبيرة في نقد الحكومة وذلك في أمور كثيرة منها: اعتماد الحكومة المصرية على الأجانب إلى درجة كبيرة، وقد وصف أديب إسحاق ذلك (بأنه بربرية أوروبية لا يجوز السكوت عليها لأن القوم نازعونا الأرض التي جلبت بدم آبائنا، وأصبحوا أمراء في بلادنا).

وناضلت جريدة مصر عن الوطن المصري نضالاً عنيفاً تعرضت من أجله للإيذاء والتعطيل أكثر من مرة، كما دافعت الجريدة عن مجلس شورى النواب وكانت حرباً على الوزيرين الأجنبيين، واشترك في تحرير هذه الصحيفة كل من الأفغاني ومُحَّد عبده، ونشروا بها مقالات سياسية عبرت عن روح الأفغاني وكفاحه من أجل الحرية، ثم أصدر الصديقان أديب إسحاق وسليم النقاش في أواخر عام ١٨٧٧ بمدينة الإسكندرية صحيفتهما الثانية وهي:

التجارة

وقد سارت هذه الأخيرة سيرة الأولى، وكتب فيها الأفغاني وتلميذه عبدالله النديم، وضاقت بها الحكومة فهددتها بالتعطيل ثم أغلقتها نهائياً، وكان أديب إسحاق يشرح للشعب المصري في صحيفتي مصر، والتجارة

حقوق الحاكم وحقوق المحكوم، ويشرح له معاني الوطن والوطنية ويخوض في وصف المذاهب السياسية والاجتماعية، كما هي معروفة في البلاد الأوروبية، وكل هذه أشياء غريبة على الذهن المصري في ذلك الوقت، وبذلك ارتفعت الصحف المصرية إلى مصاف الصحف الأوروبية وخاضت في الموضوعات التي تخوضها الأخيرة.

أبو نظارة

أصدرها يعقوب بن صنوع عام ١٨٧٧، وهو من تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني وابن صنوع هو إمام الصحافة الهزلية في مصر، وقف نفسه على السخرية من إسماعيل كما سخر من أوضاع الحياة المصرية في أيامه، وسلك لذلك طريقين هما: طريق الصحافة من جهة وطريق المسرح من جهة ثانية، ونجح فيهما نجاحاً عظيماً، وكان أول ما أصدر من الصحف الهزلية صحيفة اسمها (أبو نظارة)، صور فيها الظلم الذي يعانيه الناس في أيام إسماعيل معتمداً في ذلك على فن المحاورات باللغة العامية حتى يتسلى بها العامة ويعتبر بها الخاصة، كما أخذ ابن صنوع يهاجم في صحيفته هذه جميع الأمراء والوزراء والموظفين الأجانب في الحكومة فضلاً عن مهاجمته الخديوي إسماعيل.

ونفى ابن صنوع إلى باريس سنة ١٨٧٨ وهناك أصدر طائفة من الصحف الهزلية هي في الحقيقة أسماء متعددة لصحيفته (أبو نظارة).

ومن هذه الأسماء على سبيل المثال:

١- أبو نظارة زرقاء.

٢- النظارات المصرية.

٣- أبو صفارة.

٤- الحاوي.

٥- أبو نظارة.

٦- أبو زمارة. ... إلخ.

نرى من سيرة هذه الصحف التي أشرنا إليها أنها كانت تكافح من أجل الحرية، وأن أصحابها كانوا يتعرضون من أجل ذلك للنفي والتعذيب كما كانت هذه الصحف عرضة للتعطيل.

ومعنى ذلك أن ما سمعنا به من تعطيل الصحف وإيذاء الصحفيين ونفيهم أحياناً إلى البلاد الأجنبية كان يتمشى مع طبيعة تلك الفترة التي قلنا أنها فترة الكفاح من أجل الحرية، وهي الفترة التي تمثل في الوقت نفسه شباب الصحافة المصرية.

قلنا إن الصحافة الأهلية في دور الشباب نعمت بقدر من الحرية لم تنعم به في تاريخها قبل ذلك وربما لم تنعم بهذا القدر إلا بعد صدور دستور

سنة ١٩٢٣ وهو الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الكبرى سنة ١٩١٩.

وقد تحدثنا عن بعض هذه الصحف ونريد أن نمضي في الحديث عن بعضها الآخر.

مرآة الشرق

وهي جريدة سياسية علمية أدبية تصدر بالقاهرة يومي السبت والأربعاء من كل أسبوع وصاحبها رجل سوري اسمه سليم غنحوري، وقد ترك أمر تحريرها لرجل مصري من تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني وهذا الرجل هو إبراهيم اللقاني.

أخذ هذا الصحفي يخوض في وصف الفساد الذي عم البلاد في ذلك الوقت، كما أخذ يخوض في بحث أسبابه وانتهى إلى أن هذا الفساد إنما يرجع إلى أمراء البيت المالك وإلى جهلهم بواجباتهم نحو وطنهم وإلى سوء تدبيرهم واختلال أحوالهم، فهم لا يعرفون شرعاً يخضعون له ولا قانوناً يشعرون نحوه باحترام ولا يسمعون رأياً ولا يقبلون نصحاً، بل أنهم تعدوا الحدود وانتهكوا المحارم وثلموا الأعراض وحاربوا العدل فطغوا وبغوا ونهبوا وسلبوا وفتكوا وهتكوا وشادواا القصور وغرسوا البساتين واقتنوا الحور والولدان وتأنقوا في المأكل وتفننوا في لمشارب وسحبوا مطارف العجب والخيلاء ... كل ذلك وأفراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة، يتضورون جوعاً ويتلظون عطشاً ويموتون من البرد).

مصر القاهرة

في عام ١٨٨٠ أقال الخديوي توفيق الوزارة المصرية ذات الميول الوطنية وهي وزارة شريف، واسند الوزارة الجديدة إلى رياض باشا، وكان قبول رياض باشا للوزارة إذ ذاك العودة إلى الحكم الاستبدادي، ومن أجل ذلك باسم الحزب الوطني، وفكر هذا الحزب في إرسال أديب إسحق على نفقته إلى باريس حيث لاذ بموطن الحرية، وكان قد سبقه إليها جمال الدين الأفغاني كما ذكرنا، وكان رياض هو الذي أمر بإلغاء جرائد أديب إسحاق فسافر إلى فرنسا والغيظ يحتدم في ؟مدره، وهناك صب جام غضبه على رياض، وفي مصر القاهرة كتب أديب إسحق يصف الخطة التي سيتبعها نحو الحكومة المصرية قال:

(سأكشف حقائق الأمور ملتزماً جانب التصريح متجافياً عن التعريض والتلميح، وأجلوا آراء ذوي النقد، وأبين نقائص أهل الحل والعقد، وأوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً (أولي الأمر) وطالب الحكام الذين ندعوهم وهما (أمناء الأمة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً (ولاة النظام)، وقصدي من ذلك أن أثير بقية الحمية الترقية، وأهيج فضالة الدم العربي، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين، وأحيي الغيرة في قلوب العارفين، ليعلم قومي أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه، ومالاً منهوباً فيطلبوه، وليستصغروا الأنفس والنفائس في جنب حقوقهم، فمن قتل في سبيل ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن عاش بعد أولئك فهو سعيد).

البرهان

استمرت الصحف الوطنية تنمي التيار التحرري وتزيده كل يوم قوة على قوة، ومضت الحكومة تقاوم هذا التيار بكل ما تملك من إجراءات وسلطات، وأغلقت كثيراً من هذه الصحف الوطنية التحررية، فظهرت مكانها بعض النشرات السرية، ثم تحول السخط العام إلى حركة ثورية قام بها الضباط في الجيش لإسقاط الحكومة الرجعية، وتألفت وزارة دستورية هي وزارة شريف سنة ١٨٨١م.

في ذلك الوقت كان للتيار التحرري صحفه الوطنية وكان للأجانب في مصر صحفهم الفرنسية والإنجليزية، ورأى القصر الملكي كذلك أنه ينبغي أن تكون له هو الآخر صحيفة أهلية تدافع عنه ضد الصحف الوطنية، لذلك أصدر القصر صحيفة (البرهان) بمدينة الإسكندرية عام ١٨٨١، ووكل تحريرها إلى الشيخ حمزة فتح الله، فأخذ هذا الرجل يدافع عن العرش دفاعاً قوياً، وكان يعتمد في ذلك على النزعة الدينية، ويحشو مقالاته دائماً بالآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعة أولي الأمر، وفسر ذلك بأن الخروج على ولي الأمر يعتبر نوعاً من الكفر والتمرد.

أما حكومة شريف فقد حاولت في تلك الفترة القلقة من تاريخ الأمة أن تضع حداً لتطرف الصحف كلها بدون استثناء، ووضعت لذلك أول قانون للمطبوعات في مصر صدر في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨١، غير أن كل هذه الإجراءات التعسفية من جانب وزارة شريف الوطنية لم

تؤثر في التيارات الوطنية التي أخذت تزداد مع الأيام قوة، وكان من نتيجة ذلك نشوب الثورة العرابية.

في تلك الآونة الحرجة حدث ما يؤسف له وهو أن الصحفيين المصريين أساءوا الظن بإخوانهم الصحفيين السوريين واتهموهم بمجاراة الخديوي وبعض الدول الاستعمارية الضالعة معه، من أجل ذلك غادر كثيرون من السوريين مصر في ذلك الوقت، وعبثاً حاول العقلاء في الأمة أن يهدئوا من روع المصريين ويخففوا من سخطهم على السوريين ويذكروهم بما أبلاه السوريون من البلاء الحسن في الدفاع عن الأماني القومية، غير أنه في أوقات الثورة وغيلان الصدور يعز على الثوار دائماً أن يردوا أنفسهم إلى شيء من الاطمئنان إلى الصحف التي تتذبذب في سياستها بين الفريقين المتناجزين.

وندع الحديث مؤقتاً عن صحف الثورة لنتحدث الآن عن صحيفة من أهم صحف النديم، كانت تمثل شباب الصحافة المصرية وهي صحيفة:

التنكيت والتبكيت

وقد أصدر النديم العدد الأول من أعدادها في السادس عشر من شهر يونيه (حزيران) سنة ١٨٨١، وكتبها يومئذ بالعربية الفصحى والعامية، ليقرأها الخاصة والعامة على السواء، أما السبب في تسمية هذه الصحيفة بهذا الاسم فهو أن مقال النديم فيها كان ينقسم إلى قسمين..

أولهما: التنكيت، بمعنى السخرية من المجتمع المصري في عيب من عيوبه الاجتماعية.

وثانيهما: التبكيت، بمعنى التوبيخ أو تأنيب المجتمع المصري على هذا العيب من عيوبه.

ولاشك أن هذه الطريقة من طرق الإصلاح الاجتماعي بحاجة إلى براعة ومهارة، وقد توافرت هاتان الصفتان في النديم الصحفي بحيث نظر إليه في التاريخ على أنه صحفي القرن التاسع عشر بلا منازع.

ومن عنوانات المقالات التي كتبت بالعامية في هذه الصحيفة على سبيل المثال عنوان: (هف طلع النهار)، وعنوان (خد من عبدالله واتكل على الله) .. إلخ.

ومن المقالات التي نشرت بهذه الصحيفة باللغة الفصحى على سبيل المثال أيضاً مقال بعنوان: (مجلس طبي علي مصاب بالإفرنجي) وهو مقال كتبه بالعربية الفصحى كما تقدم ودخل به في صميم المشكلة المصرية التي كان يفكر فيها المصريون إذ ذاك، وهي مسألة الديون التي تورط فيها إسماعيل، وبسببها وقع التدخل الأجنبي في نهاية الأمر.

غير أن النديم كان يعني بلفظ (الإفرنجي) داء الزهري، وهو من الأدواء الخبيثة المعروفة، وكان النديم يكنى بهذا الداء عن الخراب الذي

أصاب البلاد نتيجة لإسراف إسماعيل، وعن وقوع البلاد فريسة للتدخل الأجنبي وفرض الرقابة الثنائية وغير ذلك.

وعبر النديم بلفظ (مجلس طبي) عن العقلاء في الأمة وهم وحدهم القادرون على إنقاذ البلاد من الخراب الذي حل بها.

وكني النديم بلفظ (المصاب) عن مصر فعمروها في المقال بصورة فتى كان صحيح الجسم، قوي الأعصاب، جميل الصورة، لطيف المعشر، ثم ابتلي هذا الفتى بصاحب له (هو إسماعيل) أحسن الظن به أول الأمر وأسلمه نفسه، ولكن صاحبه هذا أودى به إلى الهلاك وباعه في الأسواق، فشتراه من سماسرة السوء من الأوروبيين من انزلقوا به في مواطن الشهوات وانغمسوا به في دور الدعارة، ففقد صحته ولازمه المرض وأصبح ميئوساً منه، وألقوا به في خربة قذرة، ومر به قومه على حين غرة، فعرفوا داءه وفكروا في دوائه وجمعوا له مجلساً طبياً أوقف سريان الداء في مفاصله، وأعاد إليه بعض الصحة، هذه خلاصة القال الذي كتبه النديم بطريقة رمزية وعبر به عن الحالة السيئة التي انتهت إليها البلاد في تلك الفترة.

وهكذا ينظر التاريخ إلى الفترة القصيرة ما بين سنة **١٨٧٥–١٨٨١** على أنها تمثل دور الشباب في حياة الصحافة المصرية.

والحق لقد شهدت هذه الفترة التي تشير إليها ميلاد (حرية الصحافة) في مصر، وفيها –أي في هذه الفترة– عرفت الصحافة مسئولياتها، وحددت وظائفها وأصبحت أداة قوية للتعبير عن الرأي العام،

وإلى هذه الفترة وحدها قبل غيرها يرجع الفضل في كل ذلك، ففي أثنائها بلغ الكيان الشعبي المصري حد النضج، وفي أثنائها وصل الرأي العام المصري إلى أقصى درجات النمو، ولو دام للصحافة المصرية هذا الحظ من الحرية لبلغت في مستواها درجة تفوق بها الصحافة الأوروبية، ولكان في قدرتها أن تكون طليعة العالم كله في كل معاني الدستور والديمقراطية.

ولكن من سوء حظ البلاد أنها فشلت في الثورة العرابية وأنها بسبب هذا الفشل منيت بالاحتلال البريطاني في سنة ١٨٨٢ ميلادية، فتوقفت نهضتها، وتبدلت حالتها، واختنق فيها صوت الحرية، ثم شغلها الكفاح المرير ضد الاحتلال البريطاني عن أن تكون رائدة العالم كله إلى معاني الحرية والديمقراطية بجميع الصور التي استحدثها القرن العشرون[١].

[١] راجع الجزء الثاني من أدب المقالة الصحفية في مصر للمؤلف ص١٤٢ وما بعدها، وبه نجد نماذج من مقالات النديم في صحيفة التنكيت والتبكيت وتحليلاً لهذه النماذج.

الفصل السابع

الصحافة المصرية في عهد الثورة العرابية

مما لاشك فيه أن الثورة العرابية كانت ثمرة من ثمرات الكفاح من أجل الحرية أو كانت طريقاً من الطرق التي سلكها المصريون من أجل هذه الغاية.

أسخطت الصحافة المصرية الرأي العام المصري على جميع الأوضاع السياسية والمالية في تلك الحقبة، ومن نشوب هذه الثورة ظهور الحركات الشعبية التي منها على سبيل المثال:

أولاً:- ظهور جماعة بمدينة الإسكندرية فكرت فيما يسمى بالاستقلال الاقتصادي، ودعت في عام ١٨٧٩ إلى إنشاء بنك قومي لإنقاذ البلاد من استبداد الأجانب، واسم هذه الجماعة (اتحاد الشبيبة المصرية) ورئيسها عمر لطفي محافظ الإسكندرية.

ثانياً:- ظهور هيئة شعبية أخرى باسم (الجمعية الوطنية) أو الحزب الوطني وذلك عام ١٨٧٨ نعني في وزارة رياض باشا، وكان من أعضاء هذه الجمعية شريف باشا وعمر لطفي وسلطان باشا وغيرهم، وكانت هذه الهيئة في الواقع صدى لظهور المعارضة في داخل مجلس النواب المصري واحتجاج المجلس على مشروع مالي أعدته حكومة رياض لتعلن به أنها في

حالة إفلاس مادي، وإذ ذاك رأى المستنيرون في هذا المشروع امتهاناً لكرامة الأمة وكرامة النواب وكرامة الحكومة، وفكروا في تسوية مالية يمحون بها عار الإفلاس الذي تعلن عنه الحكومة، وكان ذلك بعد أن اجتمعوا بدار السيد البكري نقيب الأشراف، وانتهزوا فرصة اجتماعهم لهذا الغرض وطالبوا بتأليف وزارة وطنية لا يشترك فيها الوزيران الأوروبيان، كما اشترطوا في هذه الوزارة القومية أن تكون مسئولة أمام مجلس النواب.

ثالثاً:- إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية بمدينة الإسكندرية عام ١٨٧٨، وذلك بفضل مساعي السيد عبدالله النديم وأصدقائه من أغنياء هذه المدينة، وكان الباعث على إنشاء هذه الجمعية كذلك شعور الخاصة بطغيان النفوذ الأجنبي في البلاد واستئثاره بمرافقها، فتأسست هذه الجمعية لفتح المدارس الحرة التي تعلم البنين والبنات بالمجان، ولمكافحة التدخل الأجنبي بكل الطرق الممكنة.

رابعاً:- ظهور هيئة شعبية بالقاهرة اسمها "جمعية المقاصد الخيرية" كان من أعضائها الشيخ مُحَّد عبده، وكانت تشتغل بالأمور السياسية، واجتمع أعضاء هذه الجمعية وتداولوا في أمور كثيرة وكونوا لأنفسهم رأياً عاماً في كل أمر منها، وذلك للمجاهرة بهذا الرأي في الوقت المناسب، وكان آخر اجتماع لهذه الجمعية في السابع عشر من فبراير -شباط- سنة ١٨٨٢، وذلك للتصديق على مشروع القانون الأساسي لمجلس النواب، وخطب مُحَّد عبده خطبة بليغة في هذا الاجتماع.

غير أن الحق أن يقال أيضاً أن كل هذه الجمعيات المتقدمة كانت نتيجة مباشرة لنشاط سري نشأ في مصر قبل ذلك الوقت، وذلك على شكل جمعيات سرية منها على سبيل المثال جمعيتان..

١- الجمعية السرية للضباط:

وهي أولى الجمعيات السرية في مصر، ظهرت عام ١٨٦٧ انضم إليها أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية وزملاؤه الضباط الذين قاموا بهذه الثورة وقدمت هذه الجمعية عريضة إلى إسماعيل مطالبة فيها بإصلاحات اقتصادية، منها تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاح، ولم يكن من السهل على إسماعيل إذ ذاك أن يستجيب إلى هذه المطالب في وقت كان فيه غارقاً في ديونه، وكان بحاجة ماسة إلى هذه الضرائب، وأخيراً أعلنت هذه الجمعية السرية عن نفسها في عام ١٨٧٩ وظهرت باسم "الحزب الوطني" وهو غير الحزب الوطني المنسوب إلى مصطفى كامل والذي تم إنشاؤه على يد هذا الزعيم في سنة ١٩٠٧.

٢- جمعية مصر الفتاة:

وهي من الجمعيات السرية التي نشأت في مدينة الإسكندرية عام ١٨٧٥، وكان قوامها الشبان المثقفون في الأمة من غير ضباط الجيش، وكان من أعضائها عبدالله النديم وأديب إسحاق وسليم النقاش.

ثم بتأثير النديم تغير اسم هذه الجمعية السرية وأعلنت عن نفسها باسم الجمعية الخيرية الإسلامية.

من أجل ذلك كله لم يكن غريباً أن تقوم الثورة العرابية، بعد إذ تهيأت الأذهان لها في حكم إسماعيل، وبعد أن زاد تذمر الضباط المصريون من إسناد الوظائف العليا في الجيش إلى الأتراك الشراكسة ومن حرمان المصريين من هذه المناصب حرماناً تاماً، فقام أحمد عرابي بثورته وطالب الخديوي توفيق بدستور يفي بحاجة البلاد إذ ذاك.

وهنا نجد الثورة العرابية تقضي على أكثر الصحف السورية في مصر، وكأنما داخلها الشك في إخلاص تلك الصحف للحركة الثورية لذلك الوقت، وأنشأت الثورة صحفاً مصرية جديدة، منها صحيفة (الطائف) للسيد عبدالله النديم، ومنها صحيفة (المفيد) لحسن الشمسي، وكلتاهما تصدران بالقاهرة، ولكننا نلاحظ أنه بينما كانت هذه الصحف التي تصدر بالقاهرة لا تألوا جهداً في مناصرة الثورة إذ بنا نجد صحف الإسكندرية تناهض هذه الثورة، ولا غرابة في ذلك فقد كان توفيق حينذاك يقيم في الإسكندرية ويعتصم بالأسطول البريطاني فيها.

وعلى ذلك فقد اعتمدت الثورة العرابية في الواقع على صحيفتين فقط، هما (الطائف) و(المفيد).

وبالرغم من أن صحيفة (المفيد) كانت في نظرنا أنفع للثورة العرابية من صحيفة النديم، فإننا سنقصر الحديث هنا على الصحيفة الأخيرة، وهي

صحيفة (الطائف)، وذلك مع اعترافنا (للمفيد) بأنه أفادت الثورة في موقفين هامين هما:

أولاً:- أنها كانت تنقل الأخبار الصادقة عن الحرب بين عرابي والإنجليز وذلك على خلاف ما فعله النديم كما سنوضح ذلك بعد.

ثانياً:- إنها نقدت فكر الثورة العرابية على الصحفيين السوريين ودافعت عنهم، وذكرت المصريين بالخدمات الجليلة التي أدتها الصحف السورية للنهضة المصرية.

صحيفة الطائف

نحن نعلم أن النديم كان عنصراً هاماً من عناصر الثورة العرابية وكان خطيبها الأوحد وكان في الوقت نفسه صاحب الجريدة التي تعبر عن آرائها وأفكارها، وهذه الجريدة هي الطائف، وهي في حقيقة أمرها جريدة التنكيت والتبكيت بعد أن اقترح أحمد عرابي تغيير اسمها إلى (الطائف).

وتقوم سياسة الطائف على الأمور التالية:

١. مواصلة الكتابة عن تاريخ إسماعيل والنقمة عليه وعلى توفيق، من أجل اهتمامه بالدول الأجنبية واعتماده عليها.

٢. شرح حالة الفلاح المصري وما انتهى إليه من البؤس والعوز، ودعوة الحكومة إلى العناية به من جميع النواحي.

٣. الإصلاح النيابي، وقد استأثر بجانب عظيم من مجهود النديم في صحيفة الطائف، وكان من رأي هذه الصحيفة أن الإصلاح السياسي في مصر لا يقوم إلا على الإصلاح النيابي.

٤. الدفاع عن الثورة العرابية والوقوف إلى جانب عرابي ضد الانجليز.

ووقعت الواقعة وانتقل النديم بجريدة الطائف إلى ميدان القتال، وأخذ يكتب المقالات المهيجة للخواطر والمثيرة، وكان النديم يخلع على عرابي في ذلك الوقت اسم (حامي حمى الديار المصرية).

خطأ النديم أو فشله في أن يكون مراسلاً حربياً للطائف

وقع النديم الصحفي والخطيب في خطأ إعلامي كبير في الحرب التي قامت بين عرابي والإنجليز، وهي الحرب التي انتهت بالاحتلال البريطاني، ذلك أن النديم –طمعاً في رفع الروح المعنوية للمحاربين المصريين والمواطنين المصريين– أخذ يهول في وصف المعارك التي وقعت بين عرابي والانجليز، وطفق يبالغ في وصف العتاد الحرب الذي يملكه الجيش المصري في ذلك الحين، كما أخذ يزيف في وصف الهزائم التي أوقعها المصريون بالإنجليز، وركب متن الشطط في وصف شجاعة العربان الذين التحقوا بجيش عرابي، ولم يلتزم النديم جانب الصدق في جميع ما أورده من أخبار هذه الحرب.

على أن هذا الخطأ الإعلامي الذي وقع فيه النديم أصلح منه زميله حسن الشمسي في جريدة المفيد، فاستعاض عن هذه المبالغات التي أكثر

منها النديم بخطة أخرى تقوم على مجرد إثارة العداوة والبغضاء في قلوب المصريين ضد الإنجليز، منا تقوم على تخويف المصريين من مصير كمصير الهنود والأيرلنديين الذين غلب الإنجليز على أمرهم وأضاعوا استقلالهم واستغلوا ثرواتهم، ولم يكذب حسن الشمسي ولم يحرف النشرات الحربية التي صدرت عن كل من عرابي وجيش الاحتلال البريطاني.

ثم أن النديم كان يصدر ملحقاً للطائف وكان يبيح لنفسه في هذا الملحق الصحفي من حرية النقد والمبالغة في التجريح أو الذم فوق ما ينبغي له.

(ومن ذلك أنه انزلق إلى توجيه السب والقذف إلى الصحفيين السوريين، وأحدث بهذا النقد فتنة كبرى كان من نتائجها إن ترك الصحفيون السوريون مصر في تلك الفترة الحرجة من حيتهم وعادوا إلى بلادهم حتى تخمد نار الثورة العرابية).

وهكذا فشل النديم في جريدة الطائف فشلاً ذريعاً في مجال الدعاية للحرب بمقدار ما نجح في صحيفة التنكيت والتبكيت من حيث الإصلاح الاجتماعي.

وذلك أن الداعية للحرب غير الداعية للإصلاح الاجتماعي، فالأول لا ينبغي له مطلقاً أن يخرق في حديثه أو يخلق أحداثاً لم تكن، أو يصف شيئاً لم يقع، بل يجب عليه دائماً أن يذكر الحقائق كما هي وله بعد

ذلك أن يعلق عليها كما يشاء وأن يرفع من الروح المعنوية للشعب كما يشاء.

ولو صدق النديم في أقواله عن الحرب التي دارت بين عرابي والإنجليز لكان النصر في النهاية للمصريين على الإنجليز ولكن الذي حدث هو العكس، فكيف أباح النديم لنفسه كل هذا الزيف؟.

أن فكرة الدعاية للحرب كانت تحتاج من هذا الصحفي الكبير إلى كثير من الدرس[١].

[١] لمن أراد التوسع في هذا الموضوع (الصحافة المصرية والثورة العرابية) أن يرجع إلى الجزء الثاني من كتاب (أدب المقالة الصحفية) للمؤلف ص١٥٦– ١٧ ط٣.

الفصل الثامن

الصحافة المصرية في دور الكفاح ضد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٩

كلمة تمهيدية:

منذ أن حلت بالبلاد المصرية كارثة الاحتلال البريطاني عام **١٨٨٢** صدر أمر ناظر الداخلية في **٢٣** ديسمبر (كانون الأول) من نفس السنة بإلغاء جرائد الزمان، والسفير، والطائف، والمفيد، والنجاح، وقبض على حسن الشمسي ونفي مُحَمَّد عبده من البلاد واختفى النديم نحو عشر سنوات، وهكذا وضع المحتلون البلاد في ذهول كبير واخرسوا ألسنة الثورة العرابية وكتموا أنفاسها، واستمال الاحتلال إليه بعد ذلك بعض الصحف السورية مثل صحيفة الأهرام وصحيفة المحروسة (لسليم النقاش) وبعض الصحف الوطنية مثل جريدة الوطن (لميخائيل عبدالسيد).

وظلت الصحافة المصرية في يأسها وقنوطها مدة لا تقل عن عشر سنوات أفاقت بعدها من هذه الحالة وعادت إلى كفاحها المرير ضد المحتل، والحق أنه وإن كان الاحتلال البريطاني كارثة على البلاد فإن له مع ذلك فضلاً كبيراً على الحركة الوطنية المصرية، وذلك أن الاحتلال هو الذي بعث في المصريين ميلاً قوياً إلى المقاومة بكل الطرق الممكنة.

جاء الاحتلال وبنى سياسته على إذلال المصريين وإبقائهم في قبضته أطول مدة ممكنة وسلك في سبيل ذلك هذه الطرق.

١- التعليم

فقد أبى الإنجليز إلا أن يقنع المصريين بقدر ضئيل من التعليم لا يتجاوز المرحلة الأولى فقط من مراحله ولذلك شجع الاحتلال على نشر الكتاتيب، وأوهم المصريين أنهم لا يصلحون لدرجة أعلى من درجات التعليم.

٢- الحط من الدين الإسلامي واتهام المصريين بالتعصب الديني

زعم الاحتلال أن الدين الإسلامي دين عتيق لا يصلح إلا للعرب الذين أقاموا في الصحراء منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ونصح المصريين بأن لا يظلوا متمسكين بهذا الدين الذي هو السبب في تخلفهم عن الحضارة.

٣- التضييق على الحكام الشرعيين

ومنهم عباس حلمي الثاني الذي تولى الحكم في سنة ١٨٩٢، وكان عباس هذا قد أظهر الميل في أول الأمر للحركة الوطنية، غير أن الإنجليز ما لبثوا أن قلموا أظافره وأضعفوا من قوته واضطروه إلى إعلان استسلامه في النهاية.

٤- الاستهانة بالوطنية المصرية

وقد بلغ الإنجليز في ذلك حداً طالبوا بإلغاء الجنسية المصرية ذاتها بحيث تصبح مصر وطناً دولياً لكل من مر به من الأجانب ولو لمدة قصيرة ولمصلحة عابرة.

ولم يكتف كرومر بذلك بل شرع لمصر ما سماه (بالمجلس التشريعي) الذي يضم ممثلين عن البلاد أكثرهم من أولئك الأجانب الذين يدخلون هذا المجلس بطريق التعيين لا بطريق الانتخاب.

عاش المصريون هذه السنوات العشر فكانت من أحلك السنوات في تاريخهم، وفكروا طويلاً في الأمر فاهتدوا إلى سياسة جديدة هي:

سياسة إعداد الأمة المصرية وتزويدها بأدوات الاستقلال

ولكن ما هي أدوات الاستقلال؟إن أدوات الاستقلال إذ ذاك فيما لو عز المدفع وغيره من أدوات القتال هي العلم والثقة بالنفس والإيمان بالشخصية المصرية وهي المؤدية وحدها إلى تحقيق الأمل الذي يصبو إليه كل مصري وهو الخلاص من الاحتلال البريطاني، ولكن ما السبيل إلى ذلك؟

فكر المصريون جدياً في الأمر فلم يجدوا أمامهم من سبيل غير الصحافة.

لكن ماذا تستطيع الصحافة أن تفعل؟

الصحافة هي التي تستطيع أن تدافع عن المصريين من الناحية السياسية وتستطيع أن تقف وراء الحكام الشرعيين الذين كانوا موضع إذلال القوة الاستعمارية، والصحافة هي التي تستطيع أن تدافع عن مصر من الناحية التعليمية فتكشف عن خدعة الاحتلال في الاكتفاء بنشر الكتاتيب، وتروج لفكرة إنشاء الجامعة المصرية، والصحافة هي التي تستطيع أن تزود عن المصريين من الناحية الدينية، فتنفي عنهم تهمة التعصب الديني أولاً ثم تشرح للعالم المتحضر بعد ذلك شيئاً من مبادئ الدين الإسلامي، بما يثبت لهذا العالم أنه دين يقدس الحرية، ويحفى على العلم، ويدعو إلى الشورى، ويحترم حقوق الإنسان، ويؤمن بقدر من الاشتراكية ينفع الناس في حياتهم التي يحيونها في كل زمان ومكان.

والصحافة أيضاً هي التي تستطيع أن تصلح ما فسد من (الناحية الخلقية) فتقضي على الشعور بالذل وتقتل الشعور بالضعف –والاستكانة أمام المحتل، وتحارب عبادة البسالة– على حد قول الأستاذ أحمد لطفي السيد بمعنى أنها تقاوم في المصريين إسرافهم في تقدير البطولة وتغرس فيهم الشعور بالكرامة، وبهذه الطرق تستطيع الصحافة تزويد المصريين بأدوات الاستقلال.

وقد فعلت الصحافة كل ذلك، ولاحظ التاريخ المصري الحديث إلى جانب ذلك إن الزعامة والصحافة في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي كانتا شيئاً واحداً.

فالسيد علي يوسف كان صاحب جريدة المؤيد، وهو في الوقت نفسه رئيس حزب الإصلاح السائر على المبادئ الدستورية.

ومصطفى كامل كان محرراً لصحيفة تسمى (باللواء) وكان في الوقت نفسه زعيماً من زعماء حزب الأمة.

وكل هذه الأحزاب كانت قد تألفت في مصر بين عامي ١٩٠٦، ١٩٠٧.

وتولى كل واحد من هؤلاء الزعماء قيادة الوطن في ميدان من الميادين التي أشرنا إليها.

ففي ميدان الأخلاق المؤدية إلى الاستقلال وقف أحمد لطفي السيد، وفي ميدان الدفاع عن الحكم المصري وعن الدين الإسلامي وعن الكفاءة المصرية وهي الأمور التي طعن فيها الاحتلال وقف السيد علي يوسف.

وفي ميدان الحركة الوطنية وقف مصطفى كامل، وهكذا، واشترك الزعماء والقادة جميعاً في ميدان واحد هو ميدان المقاومة الشديدة للاحتلال البريطاني، وهذه الحقائق كلها هي التي جعلت المؤرخ الحديث ينظر إلى تلك الفترة من فترات الكفاح ضد الاحتلال البريطاني على أنها

طور من أطوار النهضة المصرية أطلقوا عليه بالفعل هذا الاسم وهو – الطور الصحافي من أطوار الحركة الوطنية–.

ووافق على هذه التسمية كل من الأستاذ جورج بنج في كتابه (مصر) والأستاذ تشارلز آدمز في كتابه (الإسلام والتجديد).

من أجل ذلك كله كثر حديث الصحف المصرية في تلك الفترة عن الموضوعات الآتية:

١– التعصب الديني.

٢– الكفاءة المصرية.

٣– الشخصية المصرية.

٤– التعليم والجامعة المصرية.

٥– الاستقلال وتزويد الأمة بأدواته.

٦– الدستور والمجالس النيابية التي ابتدعها الإنجليز بعد أن قضوا على المجلس النيابي الذي ولدته الثورة العرابية.

تلك هي المجالات التي سبحت فيها الصحافة المصرية في فترة الكفاح ضد الاحتلال البريطاني، ولذلك ظهر على مسرح الحياة المصرية

لتلك الفترة عدد كبير من الصحف التي قاومت الاحتلال في كل ناحية من النواحي المتقدمة.

ولسهولة الفهم سنحاول أن نقسم دور الكفاح ضد الاحتلال البريطاني إلى فترات..

- الفترة الأولى: من ١٨٨٢ – ١٨٨٩.
- الفترة الثانية: من ١٨٨٩ – ١٩١٤.
- الفترة الثالثة: من ١٩١٤ – ١٩١٩.

الفصل التاسع

الصحف المصرية في الفترة الأولى من فترات الاحتلال ٨٨٢-١٨٨٩

فشلت الثورة العرابية، واستتب الأمر للاحتلال الانجليزي في مصر، فوضع لورد دوفرين نظاماً جديداً للبلاد يتفق ومصالح الاحتلال، ونص في هذا النظام على حرية الصحافة، وأتى اللورد كرومر فرأى في هذه الحرية مصلحة تعود عليه لأن الصحافة متى كان لها قسط من الحرية فإنها تساعده على معرفة الحالة التي عليها البلاد المصرية.

غير أن هذه الفترة الأولى من فترات الاحتلال كانت مقرونة بحالة الذهول التام الذي شعر به المصريون عقب هذه الكارثة، وقد بدأ الاحتلال عمله في مصر بإلغاء عدد كبير من الصحف منها صحف .. الفلاح، والزمان، والسفير، ومرآة الشرق، والصادق، وقد كانت الأخيرتان من الصحف تعبيراً عن لسان الباب العالي، وكان ينفق عليها مختار باشا الغازي سفير تركيا في مصر في ذلك الوقت، وكان الاحتلال مهدداً من قبل الجهات الثلاث الآتية..

١- الباب العالي: وقد كانت تدافع عنه كل من جريدة مرآة الشرق التي كان يحررها إبراهيم اللقاني، وجريدة الصادق التي صدرت عام ١٨٩٨ باللغتين العربية والتركية.

٢- التيارات الأجنبية: ومن أهمها التيار الفرنسي، وقد كانت لفرنسا صحف فرنسية كصحيفة لوبوسفور اجيبسيان وصحف عربية كصحيفة الأهرام التي كانت تميل إلى هذا التيار الفرنسي إلى ذلك الوقت.

٣- التيارات الوطنية: وكانت لها جرائد كثيرة وهي الجرائد التي ألغاها الاحتلال بالإضافة إلى جريدة الوقائع المصرية التي بقيت مجرد جريدة رسمية لا دخل لها بالتيارات الوطنية.

أما الإنجليز وزعيمهم -كرومر- فقد رأوا أن تكون لهم بعض الصحف الوطنية، وتحقق لهم ذلك عن طريق صحيفتين أحداهما شهرية وهي صحيفة المقتطف ليعقوب صروف وفارس نمر وهما سوريان كانا قد أصدرا هذه الصحيفة في بيروت عام ١٨٧٦، ثم انتقلا بها إلى القاهرة عام ١٨٨٥، والأخرى يومية وهي صحيفة المقطم أصدرها هذان السوريان أيضاً بالاشتراك مع ثالث اسمه شاهين مكاريوس عام ١٨٨٨.

وكانت هناك جريدة وطنية ملئت الاحتلال منذ ثبت أقدامه في مصر، وهي جريدة الوطن لميخائيل عبدالسيد، ومع ذلك فقد تعرضت للتعطيل والإلغاء بالرغم من أنها أحسنت استقبال الحكم البريطاني.

في ذلك الوقت نفي أكثر الزعماء المصريين عن بلادهم، وكان من هؤلاء الزعماء الشيخ مُحَّمد عبده الذي نفي إلى باريس، وهناك التقى بأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني واشترك الرجلان معاً في إصدار ..

صحيفة العروة الوثقى ١٨٨٤

وهي الصحيفة الوحيدة التي كانت تعبر عن التيار الوطني في تلك الفترة وقد تم لها ذلك في مدينة النور والحرية بعيداً عن رقابة السلطات الإنجليزية، ومع ذلك فقد حالت هذه السلطات دون وصول الصحيفة إلى الديار المصرية فلم تكن تصل إلى بعض المصريين إلا بالطرق السرية.

وقد كان برنامج العروة الوثقى يتألف من المواد التالية:

أولاً: إفهام الشرقيين واجباتهم التي كان التفريط فيها موجباً لسقوطهم وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فاتهم.

ثانياً: إفهامهم كذلك أن الأمل في النجاح قريب، إذ لا حاجة في الوصول إلى نقطة الخلاص المرغوبة إلى قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فتور الهمم وانحطاط العزائم.

ثالثاً: دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم، فلا يصلح آخر الأمر إلا بما صلح به أوله، والمثل الأعلى في نظر الجريدة هو ما كان عليه الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين قبل أن يدخل عليهم الفساد من أبواب أخرى.

رابعاً: إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون في مضمار المدنية الحاضرة ما داموا متمسكين بدينهم؛ لأن دينهم في نظر من لا يفهمونه من الأوروبيين يدعوا إلى التواكل.

خامساً: تقوية الروابط والصلات بين الأمم الشرقية وتمكين الألفة بين أفرادها وتأييد المنافع المشتركة فيهم.

سادساً: وصل الشرقيين بما يهمهم من الأخبار العامة والأخبار الخاصة وبسياسة الدول الأجنبية تجاه البلاد الشرقية.

اشترك الزعيمان جمال الدين ومحمد عبده في إصدار هذه الصحيفة، وانتقلا من دائرة ضيقة كانا يعملان فيها لإصلاح مصر دينياً واجتماعياً إلى دائرة أوسع هي الدائرة التي أصبح الزعيمان يعملان فيها لصلاح المسلمين كافة والبلاد العربية عامة، وكانا الزعيمان يعتقدان اعتقاداً جازماً أن إصلاح العرب والشرق لا يكون إلا عن طريق الدين، وعندهما إلا حياة المسلمين إلا في دينهم، وأن فكرة الجامعة الإسلامية يجب أن تقوم مقام الروابط الأخرى ومتى فهم المسلمون دينهم على لوجه الصحيح وصلوا إلى المرتبة اللائقة بهم بين الأمم، ودعا الزعيمان في هذه الصحيفة إلى أخذ المسلمين بالعلوم الحديثة التي توصل بها الأوروبيون إلى اختراع آلات القتال، وعليهم –أي على المسلمين– أن يحاربوا الاحتلال أينما كان وعلى أية صورة من صوره.

وعلم الاحتلال بأمر هذه الصحيفة وقدر الخطورة التي لها ولمحرريها في تلك الفترة، فعمل على الحيلولة دون دخولها إلى مصر، ومازال بهذه الصحيفة حتى تعطلت عن الصدور بعد ثمانية أعداد فقط من أعدادها، واختفت في أكتوبر (تشرين الأول) من نفس السنة.

وباختفاء هذه الصحيفة اختفى كل صوت للوطنية المصرية في الفترة الأولى من فترات الاحتلال.

غير أن الحال لم يدم على ذلك إلا ريثما بدأت الفترة الثانية من فتات الاحتلال كما سيتضح ذلك في الفصل الآتي.

الفصل العاشر

الصحافة المصرية في الفترة الثانية من فترات الاحتلال ١٨٨٩-١٩١٤

وقد شهدت هذه الفترة الصحف التالية:

١. المؤيد، للسيد علي يوسف سنة ١٨٨٩.

٢. الأستاذ، للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢.

٣. المنار، للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨.

٤. اللواء، للزعيم الشاب مصطفى كامل سنة ١٩٠٠.

٥. الجريدة، لمحررها أحمد لطفي السيد سنة ١٩٠٧.

٦. العلم، وهي لسان الحزب الوطني سنة ١٩١٠.

٧. الشعب، لمحررها أمين الرافعي وهي من صحف الحزب الوطني كذلك سنة ١٩١٣.

المؤيد

وصاحبها السيد علي يوسف، وهو شاب أزهري الثقافة قال عنه تشارلز آدامز أنه (كان صحفياً ماهراً وله دهاء ومكر أحياناً، وقد رفع المؤيد إلى مكان الصدارة في العالم العربي، فأحاطه الخديوي عباس برعاية،

وقد وجه السيد علي يوسف سياسة المؤيد وجهة خاصة، فجعله بوقاً للرأي المحافظ، وان في نظر خصومه على الأقل يهيج كوامن التعصب الديني).

والحق لقد كان المؤيد أوسع الجرائد العربية انتشاراً حتى أطلق عليه (تايمز الشرق) وأما سياسة المؤيد فقامت على ما يلي:

أولاً: الدفاع عن الخديوي عباس حلمي الثاني لأنه كان هدف الاحتلال البريطاني الذي أراد أن يحطمه ويحطم به الحركة الوطنية، وقد كانت هذه الحركة متعلقة به أول الأمر.

ثانياً: الحملة ضد الاحتلال البريطاني في شيء من الهدوء حتى لا يضطر الاحتلال إلى تعطيل المؤيد، وحتى تؤثر الحملة الصحفية في خطة الاحتلال نفسه.

ثالثاً: الدفاع عن الدين الإسلامي الذي كان غرضاً للأنجليز منذ رموه بكل التهم الباطلة وأسرفوا في التشنيع عليه، وزعموا أنه السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة الحديثة.

رابعاً: الاشتداد في نقد الأجانب الموجودين في شتى لنظارات الحكومية ووصفهم بالجهل المطبق بعادات البلاد وتقاليدهم، وبأنهم بذلك لا يصلحون للاشتراك في حكمها بصورة من الصور.

خامساً: الدفاع عن (الكفاءة المصرية) وبيان قدرتها التامة على تولي الحكم والسيطرة على جميع مرافق البلاد بجدارة تامة.

سادساً: الدعوى إلى الشورى وتأليف مجالس نيابية شبيهة بالمجالس الأوروبية يكون لها حق نظر الميزانية ومحاسبة الوزراء، وقد استند علي يوسف في ذلك بالحقيقة القائلة بأن الإسلام عرف الشورى منذ أكثر من ألف سنة.

ومضى المؤيد في تحقيق أهدافه بنجاح تام وكان له مراسلون في أكثر البلاد الإسلامية والبلاد الأوروبية، وصدر له ملحقان أحدهما فرنسي والأخر إنجليزي كانا يشتملان على ترجمة لأحسن المقالات التي ينشرها المؤيد العربي، وكان صاحب المؤيد -وهو السيد علي يوسف- رجلاً نصفه للأمير ونصفه للجماهير، وقد ظهرت جريدته في وقت كان فيه الميدان الصحفي يوشك أن يخلو من الجرائد الوطنية خلواً تاماً، ولذلك نظر الشعب إلى هذه الجريدة على أنها ملأت هذا الفراغ الحادث، كما نظر الاحتلال بعين الحقد على السيد علي يوسف.

ومازال به حتى قدمه للمحاكمة في قضية مشهورة في تاريخ الصحافة باسم (قضية التلغرافات) وذلك في شهر مايو (مايس) سنة ١٨٩٦[١].

---

[١] لمنأراد الوقوف على تفاصيل هذه القضية أن يرجع إلى الجزء الرابع من كتاب (أدب المقالة الصحفية في مصر) للمؤلف، وكتاب (الصحافة المصرية في مائة عام) للمؤلف أيضاً، ص٧٨.

وفي يوم النطق بالحكم في هذه القضية احتشدت الجماهير في ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم، وصدر الحكم ببراءة علي يوسف فتعالت أصوات الجميع بالهتاف له وهنأ بعضهم بعضاً بهذا الحكم وحملوا صاحب المؤيد على الأعناق وكان يوماً مشهوداً في تاريخ مصر.

الأستاذ

اختفى النديم خطيب الثورة العرابية مدة لا تقل عن عشر سنوات، ثم ظهر في منتصف عام ١٨٩٢ على أثر العفو الذي صدر عنه من الخديوي عباس حلمي الثاني فعاد إلى كفاحه القديم وأصدر صحيفة باسم شقيقه سماها "الأستاذ" وساستها ذات أهداف منه:

أولاً: الإصلاح الإجتماعي

ثانياً: إصلاح التربية والتعليم.

ثالثاً: الدفاع عن الشرق ضد أوهام الغرب.

رابعاً: مهاجمة الاحتلال البريطاني دفاعاً عن الخديوي عباس الثاني

خامساً: الحملة على المبشرين المسيحيين.

سادساً: الدفاع عن اللغة العربية باعتبار أنها اللغة القومية والدعوة إلى تدريس المواد كلها بالمدارس باللغة العربية والدعوة كذلك إلى معاملة مدرسي هذه اللغة بنفس السخاء الذي يعامل به مدرسو المواد الأخرى.

واتبع النديم في تحرير الأستاذ نفس الطريقة التي اتبعها في "التنكيت والتبكيت" أي أنه حررها على مستويات ثلاثة، فمقالات للخاصة بأسلوب رفيع في موضوعات علمية ووطنية من نوع مقالات " العروة الوثقى" ومقالات للعامة باللغة التي يفهمونها وهي العامية شبيهة بما كان ينشر في "التنكيت والتبكيت" ومقالات كتبت بأسلوب بسيط لا هو بالرفيع المتعالي في الأسلوب ولا هو بالهابط إلى درجة العامة، ولكنه وسط بين هاتين الدرجتين ليقرأه أنصاف المتعلمين ويتثقفوا به.

أما الهجوم على الاحتلال في صحيفة الأستاذ فقد أخذ فيه النديم جانب الرفق في أول الأمر ثم أخذت لهجته تشتد بعد ذلك شيئاً فشيئاً، وهنا وقف النديم وجهاً لوجه أمام صحف الاحتلال ومنها المقطم فاستعدت عليه هذا الصحيفة السلطات البريطانية، أما الصحف الوطنية فأنها وقفت تؤيده وتسانده، وهكذا استطاع النديم عن طريق صحيفة الأستاذ أن يشعل نار الوطنية المصرية من جديد وتأثر به الشباب المصري، فخرج في مظاهرات كبيرة وعلى رأسها مصطفى كامل، وهاجم الشباب في هذه المظاهرات صحيفة المقطم فاضطر الاحتلال إلى تعطيل صحيفة الأستاذ وإلى الحكم بالنفي ثانية على النديم وختمت الأستاذ حياتها ولم يصدر منها أكثر من اثنين وأربعين عدداً فقط.

وخلا الميدان تقريباً إلا من صحيفة المؤيد وصحيفة مصر التي أصدرها رجل من أقباط مصر اسمه تادرس شنوده سنة ١٨٩٥ وصحيفة الأهرام التي أخذت تساير التيار الوطني وتهاجم الاحتلال، وتظهر الميل في

نفس الوقت لفرنسا، كما أخذت تفتح صدرها لمقالات مصطفى كامل ومن على شاكلته من الوطنيين المتحمسين.

الصحافة المصرية والأحزاب السياسية

في الفترة الثانية من فترات الاحتلال وهي الواقعة بين ١٨٨٩-١٩١٤ كما تقدم حدثت أحداث جسيمة زادت من قوة الصحافة الوطنية بالرغم من زيادة النفوذ البريطاني ومن قسوته في معاملة الصحافة، وفي ذلك الوقت شعر الوطنيون المصريون بالحاجة إلى صحيفة جديدة لا تلتزم اللين في مكافحة الاحتلال البريطاني كما تفعل المؤيد ولا تتذبذب في سياستها كما تفعل الأهرام، بل تكون صريحة عنيفة في مجابهة الانجليز ولذلك صدرت صحيفة:

اللواء

وذلك في اليوم الثامن من شهر يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٠، وكان يحررها زعيم الحركة الوطنية إذ ذاك وهو مصطفى كامل، وقد جمع لهذه الصحيفة مال كثير وكان الإعداد لها كبيراً كذلك من حيث الإدارة والتحرير ولم تكن الوطنية المصرية إلى ذلك الوقت قد خلصت تماماً من التبعية الروحية لخليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية، ومن هنا كان مصطفى كامل يدافع عن الخلافة لغرضين:

أولهما: مسايرة الروح العام المصري في تلك الفترة.

ثانيهما: الاستعانة بالباب العالي ضد المحتل.

وأما برنامج الصحيفة فقد كان مؤلفاً مما يلي:

أولاً: الدفاع عن الدين الإسلامي ضد هجمات الاستعمار كما فعلت جريدة المؤيد.

ثانياً:الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها الطريق الوحيد للتخلص من الإنجليز.

ثالثاً: تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل الممكنة والدعوة لها في داخل القطر وخراجه.

رابعاً: العناية التامة بالإصلاح الاجتماعي، وإن كانت اللواء لم تؤيد الحركة التي قام بها قاسم أمين لتحرير المرأة، على حين أن المؤيد ساندتها.

خامساً: تخليص المصريين من اليأس الذي ملأ نفوسهم بازدياد النفوذ البريطاني، ولاسيما بعد حادث (قاشوره) وهو الحادث الذي أصبحت به بريطانيا شريكة لمصر في حكم السودان.

اللواء بعد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤

نعرف أن اللواء في أول عهدها كانت تميل إلى فرنسا، وكانت فرنسا هي الأخرى تتقرب إلى مصطفى كامل لأن في هذا التقرب تعويضاً لها عن

الهزيمة التي لحقتها في معركة احتلال مصر، فلجأت إلى تعويض الهزيمة بتأييد الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل.

غير أنه بتوقيع الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤، وهو الاتفاق الذي تركت فيه فرنسا كل الحرية للإنجليز في مصر، كما تركت فيه إنجلترا كل الحرية للفرنسيين في الجزائر –تغير موقف اللواء وبرئت من صداقة فرنسا.

وقد كان هذا الاتفاق صدمة شديدة للصحافة ؟؟؟؟، فازدادت به جريدة المؤيد لينا فوق لين في مناهضة الإنجليز، وأمعنت به الأهرام في سياسة السلبية، أما اللواء فإن هذه الصدمة زادتها قوة على قوة، وبذلك زادت اللواء شعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية، ودعت المصريين إلى عدم الاعتماد على أية دولة أوروبية وإلى عدم الاعتماد حتى على الأسرة المالكة، بل يجب أن يعتمد المصريون على أنفسهم فقط في تحقيق الأماني الوطنية، ومضت اللواء في كفاحها ضد الاحتلال البريطاني حتى حدثت حادثة (دنشواي) المشهورة.

في التاريخ المصري وهي حادثة بسيطة في ذاتها، فقد خرج ضابط انجليزي مع رفقائه لصيد الحمام في قرية دنشواي هذه فاصطدم فيها بالفلاحين الذين طاردوه وهددوه ففر منهم وكان الحر شديداً فمات في الطريق، غير أن كرومر اتخذ من هذه الحادثة الفردية البحتة أساساً لطائفة

من التهم العريضة التي رمى بها المصريين بالتوحش والتعصب الديني إلى الحد الذي يخشى منه على حياة الأجانب المقيمين في مصر.

أما الزعيم الشاب مصطفى كامل فقد خلق من هذه الحادثة فضيحة كبرى لإنجلترا، فكتب مقاله المشهور في حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٦ بعنوان (إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن)، أو غر به صدر الشعب الإنجليزي وحكومته على كرومر وتصرفه الشاذ في محاكمة المتهمين في هذه القضية وقال:

(أن الصحف الموالية للاحتلال أعلنت قبل المحاكمة أن العقوبات ستكون هائلة، فلم تكن العدالة إذن هي المنشودة من المحاكمة، بل كان الانتقام هو المنشود منها).

وهكذا تم لصاحب اللواء أكبر انتصار على كرومر عميد الاحتلال في مصر لأن هذه المأساة انتهت بعزلة عن العمادة.

وشيئاً فشيئاً تخلت اللواء عن فكرة الاعتماد على الباب العالي أو الجامعة الإسلامية، كما تخلت عن فكرة الاعتماد على فرنسا، كذلك تخلت عن فكرة الاعتماد على فرنسا، كذلك تخلت عن فكرة الاعتماد على صاحب العرش، وأعدت المصريين لتقبل فكرة واحدة يجب ألا يتعلقوا بغيرها، وهي فكرة (مصر للمصريين) أو فكرة اعتماد المصريين على أنفسهم فقط في الحصول على الحرية والاستقلال.

غير أن الأجل المحتوم عجل بهذا الزعيم فمات في عام ١٩٠٨ وتبلور الاتجاه السياسي في صحيفة أخرى وهي:

الجريدة

في العام الأخير من عهد كرومر حدثت ظاهرة غريبة في تاريخ الصحافة المصرية، وهذه الظاهرة هي نشأة الأحزاب السياسية في داخل الصحف الوطنية، والمعروف في تاريخ الدول دائماً أن الصحف الوطنية هي التي تنشأ في أحضان الأحزاب السياسية، ولكن الذي حدث في مصر هو أن الأحزاب هي التي نشأت في أحضان الصحف الوطنية، وقد تم تأليف هذه الأحزاب بين أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٦ وأيلول (سبتمبر) ١٩٠٧ بالترتيب الآتي:

أولاً: حزب الأمة، وقد نشأ في داخل الجريدة التي سنتحدث عنها الآن.

ثانياً: حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وقد نشأ في داخل المؤيد للسيد علي يوسف.

ثالثاً: الحزب الوطني، وقد نشأ في داخل صحيفة اللواء لمصطفى كامل ومعنى ذلك أن الآراء التي نادت بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت في مبادئ تصلح لأن تكون أساساً لحزب من الأحزاب.

أما الجريدة فقيل في سبب ظهورها أن حادثاً وقع يومئذ وكان له تأثير في نفوس المصريين، وهو حادث (العقبة) وخلاصته أن الحكومتين التركية والمصرية اختلفتا على العقبة، كل منهما تدعيها لنفسها دون الأخرى وتدخلت إنجلترا بينهما، فانتصرت لمصر على تركيا، ولكن عقلاء الأمة المصرية تنبهوا لهذا الوضع ولم تجز عليهم خديعة الاحتلال البريطاني فنصروا الأتراك على الإنجليز في هذه المعركة، وذهل الإنجليز أنفسهم لهذا الموقف وعاد العقلاء يفكرون في الأمر، فكان من رأي لطفي السيد وجماعته أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها تأثر بتركيا ولا تأثر بالسلطة الشرعية ممثلة في الخديوي، كما لا تتأثر بالسلطة الفعلية ممثلة في الاحتلال، كذلك رأى لطفي السيد أن تكون الجريدة ملكاً لشركة من أعيان البلاد أو أصحاب المصالح الحقيقية فيها، وأما برنامج الجريدة فيتألف مما يلي:

أولاً: نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصرية ودحض الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا أو تركيا، مع أنه لا سبيل إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين.

ثانياً: الدعوة لفكرة (الجامعة القومية أو المصرية) بدلاً من فكرة (الجامعة الإسلامية) لأن الفكرة الأولى هي الموصلة للغرض وأما الثانية فلم تعد ذات فائدة لمصر.

ثالثاً: الدعوة لجعل المذهب الحر أو (المذهب الليبرالي) أساساً للحكومة والمجتمع، وبه يصبح الاعتماد على الفرد لا على الحكومة في كل ما يتصل بالمجتمع من جميع مرافقه بحيث لا يعود للحكومة سلطان إلا على ولايات ثلاث هي: القضاء، والأمن الداخلي، والأمن الخارجي.

رابعاً: إنماء الشخصية المصرية والنظر إلى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن الدولة العثمانية ذاتها.

خامساً: العمل على تقوية الوحدة القومية بمعنى توحيد عنصري الأمة وهما عنصر الأمة وعنصر الأقباط حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها إلى تحطيم الحركة الوطنية.

سادساً: المطالبة بالدستور الذي يجعل الأمة شريكة للحكومة في الأعمال العامة، ولا بأس في نظر الجريدة أن يكون الحصول على هذا الدستور بالتدريج وذلك عن طريق مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين وتوسيع اختصاصاتها تمهيداً للحصول على حياة دستورية أفضل.

سابعاً: الأخذ بأيدي الموظفين المصريين في الحكومة والعمل على إصلاحهم من الناحية الخلقية والإدارية حتى يصبحوا أهلاً لتولي المراكز العليا بدلاً من الأجانب.

ثامناً: الرد على تقارير اللورد كرومر والسير غورست وإظهارهما بمظهر الإفتئات على حقوق المصريين والطعن عليهم في كفاءتهم بدون حق.

تاسعاً: تشجيع الحركة العلمية والأدبية والفكرية وتشجيع الصناعة والتجارة والزراعة والنهوض بالمجتمع المصري من كل جوانبه.

معنى ذلك أنه وأن اختلفت هذه الصحف الثلاث المؤيد واللواء والجريدة في طرق الإصلاح وفي المبادئ التي يبنى عليها الإصلاح فقد كانت تشترك كلها في الأهداف الوطنية، غير أن الاحتلال البريطاني كان يضيق بصحف الحزب الوطني أكثر من ضيقه بصحف الحزبين الآخرين فلم يجد الاحتلال بداً من تعطيل اللواء، وتم له ذلك في عام ١٩١٠، فصدر اللواء بأسماء جديدة منها صحيفة العلم التي صدرت سنة ١٩١٠ وصحيفة الشعب عام ١٩١٣.

الشعب

وهي صحيفة من صحف الحزب الوطني ظهرت في سنة ١٩١٣ وهي السنة التي شهدت في تاريخ مصر حدثاً من الأحداث الهامة في المجال الدستوري، وخلاصته أن الخديوي عباس حلمي الثاني –بضغط من الوطنيين وأصحاب الصحف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية– أصدر ما يسمى (بالقانون النظامي) وبمقتضى هذا القانون ألغى المجلسين السابقين ليحل محلهما مجلس جديد باسم (الجمعية التشريعية) غير

أن هذه الجمعية لم تحقق رغبات البلاد بل ظهر أنها لعبة في يد الاحتلال ولم يكن لأعضاء هذه الجمعية حق محاسبة الوزراء، إذ ذاك أنبرى محرر (الشعب) أمين الرافعي لمحاسبة هذه الجمعية التشريعية ومحاسبة الحكومة المصرية والاحتلال البريطاني على هذا النظام.

وبلغ من جرأة أمين الرافعي في هذه الجريدة أنه كان يقول موجهاً كلامه إلى الحكومة.

(أعطونا حق إسقاط الوزارة وخذوا لأنفسكم حق حل الجمعية التشريعية).

وأعلنت الحرب العظمى بعد ذلك في آب (أغسطس) سنة ١٩١٤ واضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف وإعلان الحماية البريطانية في الثامن عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩١٤، وأصدرت الحكومة أمرها لجميع الصحف بنشر إعلان الحماية، فكبر ذلك على نفس أمين الرافعي وأبى أن يلطخ صحيفة (الشعب) بهذا العار وفضل أن يطل بيده إصدار هذه الصحيفة فذلك أكرم له وللشعب المصري من نشر وثيقة الإعدام بالنسبة لمصر، وبالفعل لم له ذلك في السابع عشر من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤، وبذلك انقضى العصر الذهبي للصحافة المصرية وانقضت الفترة التي أطلق عليها اسم (الطور الصحافي من أطوار الحركة الوطنية).

الصحف الطائفية في تلك الفترة

اعتزل كرومر منصبه بعد حادثة دنشواي المشهورة، وأتى بعده (السير الدن غورست) وقال أنه سيبدأ سياسة جديدة سماها (سياسة الوفاق) بين السلطة الشرعية ممثلة في الخديوي والسلطة الفعلية ممثلة في الاحتلال ومن ثم زادت الهوة بين الخديوي والوطنيين اتساعاً، وأمعن غورست في التضييق على الصحف الوطنية، ومارس إلى جانب ذلك سياسة أخرى هي سياسة (فرق تسد) وبسببها أخذ يفرق بين الأقباط والمسلمين كما أخذ يفرق بين الخديوي والوطنيين كما أخذ يتقرب من الأقباط في مصر ليغيظ بهم المسلمين ومن ثم بدأ ما يسمى في مصر (بالصراع الطائفي) وازداد هذا الصراع قوة بعد وفاة الزعيم الشاب مصطفى كامل، وكان من أهم صحف الأقباط في تلك الفترة صحيفتان هما: صحيفة (مصر) وصحيفة (الوطن) وكانت قد تعطلت ثم تجددت على يد رجل من أقباط مصر اسمه (جندي إبراهيم) سنة ١٩٠٠، وأسرفت الصحيفتان القبطيتان في إثارة العداوة والبغضاء وفي المطالبة بحقوق أساسها التعصب الديني، فاضطر الشيخ عبد العزيز جاويش للرد عليهما في جريدة اللواء بلهجة عنيفة كل العنف، وكان من المقالات القوية التي نشرها اللواء إذ ذاك مقال بعنوان "الإسلام غريب في بلاده" ثم حدث أن عين زعيم الأقباط إذ ذاك (بطرس غالي) رئيساً للوزارة المصرية فعادت الفتنة إلى أشد مما كانت عليه قبل ذلك، وكان لبطرس غالي هذا مواقف غير مشرفة في نظر الوطنيين، منها إعادة قانون المطبوعات الذي صدر في عام ١٨٨١، ومنها الموافقة على المشروع الخاص بمد امتياز قناة السويس، وهو المشروع

الذي اسخط الصحف الوطنية إلى درجة شديدة وحمل صحيفة اللواء إلى الحصول على النصوص السرية فزاد السخط على هذا المشروع في حين أن صحيفة المقطم من الصحف القبطية كانت ترحب بالمشروع وانتهى الأمر بمأساة كبيرة هي قتل بطرس غالي –قتله شاب مصري اسمه إبراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ فثارت ثائرة الصحف القبطية وانضمت إليها الصحف البريطانية بفضل الدعاية التي قام بها هناك شاب قبطي يقال له (قرياقص ميخائيل).

وبلغت الخصومة بين الأقباط والمسلمين أقصى مداها حين دعا الأقباط إلى عقد المؤتمر القبطي بالصعيد، ورد عليه الوطنيون بعقد (المؤتمر المصري) في مصر الجديدة عام ١٩١١، وانتهى المؤتمر القبطي والمؤتمر المصري أو الإسلامي إلى قرارات خلت من الإشارة إلى موضوع الاحتلال أو الدستور، وجاء هذا دليلاً على نجاح غورست في التفرقة بين المسلمين والأقباط، وعلى نجاح الاحتلال في السيطرة التامة على الحركة الوطنية حتى أضعفها وكاد يقضي عليها.

من أجل استطاع الاحتلال أن يقضي القضاء الأخير على صحيفة (اللواء) كما قلنا، وإذ ذاك ظهرت صحيفة وطنية جديدة ليست من الحزب الوطني ولكنها من طراز (الجريدة) وهذه الصحيفة الأخيرة هي:

الأهالي

لصاحبها عبد القادر حمزة، صدرت بمدينة الإسكندرية عام ١٩١٠، وكانت عاملاً كبيراً في تهدئة المعركة الطائفية بين المسلمين والأقباط، وإذ ذاك كان السير غورست قد مات وخلفه "اللورد كتشنر" وكان هذا يميل إلى سياسة العنف التي سار عليها كرومر، ولكنه في الوقت نفسه كان يميل إلى الإصلاح.

ويوم ذاك خفتت أصوات الصحف الوطنية بعض الوقت، فالشيخ علي يوسف يترك المؤيد عام ١٩٠٢ لظروف خاصة ويدركه الأجل في العام التالي وتتوقف صحيفته عن الصدور نهائياً سنة ١٩٠٦، و(الجريدة) التي يحررها أحمد لطفي السيد تترك العمل الصحفي عقب إعلان الأحكام العرفية في عام ١٩١٤، وصحيفة الشعب من صحف الحزب الوطني تتوقف عن الصدور وتأبى كرامة محررها أمين الرافعي أن يصدر جريدة كما ذكرنا بها إعلان الأحكام العرفية، وبقيت في الميدان الصحف التي آثرت عدم الاصطدام بالاحتلال مثل الأهرام والمقطم والأهالي.

الفصل الحادي عشر

الصحافة المصرية في الفترة الثالثة من فترات الاحتلال

قلنا أن الفترة الثالثة من فترات الاحتلال هي الفترة الممتدة من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٩، وهو بدون شك فترة ركود تام بالنسبة للصحافة المصرية وذلك بسبب قيام الحرب العظمى وبسبب إعلان الحماية على مصر وإعلان الأحكام العرفية وفي تلك الفترة توقفت معظم الصحف المصرية، وكانت صحيفة المؤيد بنوع خاص قد اختفت نهائياً وبيعت بالفعل في سنة ١٩١٦، ولم يبق في الميدان غير الصحف التي في استطاعتها أن تهادن الاحتلال وأن تساير ظروف الحرب مثل صحيفة المقطم وصحيفة الأهرام وصحيفة الأهالي في أول دور من أدوار حياتها، وكان الاحتلال البريطاني فوق هذا وذاك قد أصدر أوامره بتعطيل الجمعية التشريعية وذلك في الثامن عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩١٤، ويضاف إلى هذا وذاك أن أسعار الورق ارتفعت إلى درجة كبيرة وانخفض توزيع الصحف إلى درجة كبيرة أيضاً، وأصبح أكثرها يصدر في نصف ورقة واحدة فقط غير أن من الصحف التي ظهرت في تلك الفترة:

صحيفة السفور

وهي الوريثة الحقيقية للجريدة التي اختفت هي الأخرى سنة ١٩١٤ وكانت السفور تدعو بدعوة الجريدة في رفق وأناة، وكانت تسير على

خطتها في التجديد، وكانت صحيفة أدبية اجتماعية نقدية تصدر مرة كل أسبوع، وظهر العدد الأول منها في يوم الجمعة ٢١ من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ بمدينة القاهرة، وصاحبها ومحررها عبدالحميد حمدي، وكان يشارك في كتابتها كل من الأساتذة مُحَّمد حسين هيكل، ومصطفى عبدالرازق، ومنصور فهمي، وأحمد أمين، وجميعهم فيما خلا الأول أساتذة في الجامعة المصرية في ذلك الحين، ولديهم رصيد كاف من الأفكار التقدمية في الأدب والاجتماع والفلسفة، أما السياسة فقد اتفقوا على عدم الخوض فيها.

وفي صحيفة السفور أتم أولئك الشبان المثقفون من الصحفيين وأساتذة الجامعة –وكلهم من تلاميذ أحمد لطفي السيد– رسالة التجديد التي بدأتها الجريدة، وقد كانوا يشاركون أستاذهم في تحريرها كذلك، ولكي نأخذ فكرة عن الصحف السياسية في تلك الفترة نعود إلى صحيفة الأهالي في عهد الاحتلال البريطاني.

سبق أن أشرنا إلى أن صحيفة الأهالي ظهرت في مدينة الإسكندرية في عام ١٩١٠ وشهدت عصر الاحتلال البريطاني.

سبق أن أشرنا إلى أن صحيفة الأهالي ظهرت في مدينة الإسكندرية في عام ١٩١٠ وشهدت عصر الاحتلال البريطاني.

ونريد الآن أن نعود إلى هذه الصحيفة لكي نعطي للقارئ صورة من الصحافة الوطنية في أثناء المحنة التي أصابت البلاد بالاحتلال الانجليزي، كان عبدالقادر حمزة في حقيقة الأمر من تلاميذ (الجريدة)، وقد اعتنق

الفكرة التي دعا إليها أحمد لطفي السيد وهي فكرة (الجامعة المصرية) بدلاً من (الجامعة الإسلامية)، ولذلك وجدنا صحيفة الأهالي تحتفظ بهذه الفكرة في أثناء الاحتلال البريطاني، وكان رجال الاحتلال بطبيعة الحال أميل إلى فكرة الجامعة المصرية منهم إلى الجامعة الإسلامية ولذلك توهم بعض المؤرخين حين قالوا أن فكرة الجامعة المصرية فكرة إحتلالية والواقع أنها ليست كذلك، وكان الاحتلال البريطاني في تلك الفترة ينتهج لنفسه سياسة جديدة منذ ظهور الأهالي وهي (سياسة الوفاق بين السلطتين الشرعية والفعلية، فالأولى ترمز إلى الخديوي والثانية ترمز إلى الاحتلال البريطاني) تمييزاً عن سياسة الخلاف التي كان عليها كرومر.

وجاء عبدالقادر حمزة وهو رجل ذو عقلية عملية واقعية فامتدح سياسة الوفاق وأثنى عليها وعلى المعتمد البريطاني الذي بدأ إذ ذاك سلسلة من الإصلاحات الزراعية والمالية، ونعني بهذا الأخير "لورد كتشنر"، غير أن كل ذلك لم يمنع صحيفة الأهالي من أن تشعر بوطأة الاحتلال البريطاني على الصحف المصرية وتشعر كذلك بروح اليأس والقنوط التي داخلت هذه الصحف في تلك الفترة القاسية من تاريخ البلاد المصرية.

وعن هذا كله أخذت تعبر (الأهالي) بكثير من المقالات التي طبعت بطابع الحزن والكآبة وعبرت عن اليأس من الوصول إلى حياة كريمة ومن هذه المقالات التي عبرت عن كل ذلك مقال بعنوان:

سياسة الغيط والمدرسة

جاء فيه:

فإذا كان المصريون يقابلون هذه الحالة الجديدة بالهدوء والسكون فليس ذلك لأن حرارة وطنيتهم قد بردت، ولا لأنهم لم يعودوا يكترثون بالحوادث، ولكن لأنهم فقدوا آمالهم واحداً بعد آخر، ثم فهموا من اليوم الذي عقد فيه الاتفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا أنهم سائرون –لا محالة– إلى حالة جديدة ولا يحبون بعد أن قتلوا الأيام تجربة أن يبقوا أطفالاً ينكرون الواقع.

ثم قال الكاتب في ختام هذا المقال:

"ولذلك بقى المصري لغيطه ومدرسته فقط والمستقبل كله له إذا عرف كيف يحتفظ بغيطه والمدرسة"[١].

ومعنى ذلك أن الصحافة المصرية في فترة الركود بسبب الحرب الكبرى وما يليها من إعلان الحماية وفرض الأحكام العرفية أصبحت في حالة يأس تام من الاشتغال بالأمور السياسية، ودعا ذلك أصحاب الصحف إذ ذاك إلى ترك السياسة جملة والالتفات فقط إلى المصالح الخاصة التي عبر عنها صاحب الأهالي بسياسة الغيط (الحقل) والمدرسة.

---

[١] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثامن، ص٦٠.

وجدير بنا قبل أن نفرغ من الحديث عن الصحافة المصرية منذ الاحتلال البريطاني إلى قيام الثورة الشعبية الكبرى سنة **١٩١٩** أن نعني بأمرين هامين:

أولهما: الإشارة العابرة إلى أشهر المجلات المصرية في تلك الفترة.

وثانيهما: الإشارة إلى أن الصحافة المصرية إذ ذاك كانت صناعة إلى جانب كونها رسالة.

الفصل الثاني عشر

أشهر المجلات المصرية في الفترة من ١٨٧٥ إلى قيام الحرب العظمى

كنا نتحدث إلى الآن عن الصحف اليومية وذلك منذ بداية عهدنا بالصحافة الشعبية في مصر إلى وقت قيام الحرب العظمى.

ولم نشر في أثناء هذا الحديث السابق إلى المجلات أو الصحف الدورية والسبب في ذلك أن هذه المجلات أو الصحف الدورية والسبب في ذلك أن هذه المجلات لم يكن لها طابع سياسي ولم تتصل بالسياسة إلى من بعيد، وأما الطابع العام لهذه المجلات فكان طابعاً أدبياً واجتماعياً ونقدياً، فالمجلة في ذلك الوقت –ومازالت إلى أيامنا هذه– معرض للأفكار الأدبية والاجتماعية والنقدية والفنية، أما التعليق السياسي ومتابعة الأحداث السياسية فليس هدفاً أساسياً للمجلات إلى وقتنا هذا.

لذلك نقتصر هنا على مجرد الإشارة إلى بعض هذه المجلات التي ظهرت في مصر ابتداء من سنة ١٨٧٥ إلى وقت قيام الحرب العظمى، ومن هذه المجلات ما يلي:

١- الهلال، صدرت عام ١٨٩٢ لجورجي زيدان، ومازالت تصدر إلى اليوم.

٢- الطائف، صدرت عام ١٨٨٦ لصاحبها شاهين مكاريوس.

٣- مجلة المجلات المصرية، التي صدرت عام ١٩٠٠، وكانت تعتمد على الصورة اعتماداً كبيراً.

٤- مصباح الشرق، صدرت عام ١٨٩٨ لإبراهيم المويلحي.

٥- المجلة المصرية، صدرت عام ١٩٠٠ لخليل مطران.

٦- الزهور، صدرت عام ١٩١٠ لأنطون الجميل.

٧- البيان، صدرت عام ١٩١١ لعبدالرحمن البرقوقي ومُحَّد السباعي.

٨- منتخبات الروايات، صدرت عام ١٨٩٤ لإسكندر كركور.

٩- مسامرات الشعب، صدرت سنة ١٩٠٤ لخليل صادق.

١٠- الروايات الجديدة، صدرت سنة ١٩١٠ لنيقولا رزق.

١١- مجلة الفتاة، صدرت عام ١٨٩٢ للسيدة هند نوفل بالإسكندرية.

١٢- أنيس الجليس، صدرت سنة ١٨٩٨ للسيدة الكسندر افرينو بالإسكندرية.

فتاة الشرق، صدرت سنة ١٩٠٦ السيدة لبيبة هاشم.

وصواحب المجلات الثلاث الأخيرات سيدات لبنانيات.

١٣- مجلة أبو زيد، صدرت عام ١٩٠١ لإبراهيم المويلحي، وكانت تعتمد على الرسوم الساخرة.

١٤- السياسة المصورة، صدرت سنة ١٩٠٧ لعبدالحميد زكي بالاشتراك مع الشاعر حافظ إبراهيم.

غير أن كل هذه المجلات لم تحظ بطول العمر، فلم يكن يظهر منها أكثر من بضعة أعداد ثم تختفي وذلك باستثناء (مجلة الهلال) التي حظيت بحياة طويلة لم تزل ممتدة إلى اليوم.

صحافة ذلك العهد صناعة إلى جانب كونها رسالة

جدير بنا أن نلاحظ أن الصحافة المصرية خلال الاحتلال البريطاني في فتراته الثلاث أصبحت لأول مرة في تاريخها صحافة تعتمد على رؤوس الأموال الكبيرة سواء عن طريق الشركات المساهمة أو طريق الجماعات أو الأفراد من ذوي الثراء الضخم، وبهذه الطريقة نشأت صحف الحزب الوطني، ونشأت صحيفة الجريدة، ونشأت صحيفة المؤيد، ونشأت صحيفة الأهرام، والمعروف أن اللواء سبقت غيرها بتأسيس أول شركة صحفية مساهمة في أواخر عام ١٩٠٦ وقد ساعد ذلك جميع هذه الصحف على أن تصدر بشكل فني جذاب كما ساعد ذلك بعض الصحف على الحصول على آلات طابعة حديثة مثل آلة (الروناتيف) وقد بدأ بها السيد علي يوسف سنة ١٩٠٦ واحتفل بيوم وصولها احتفالاً عظيمًا بدار الصحيفة، وكذلك تقدم فن الإخراج الصحفي بسبب هذا

النظام، وظهرت الرسوم اليدوية والصور الظلية (الهافتون) وكانت الأهرام رائدة الصحف المصرية منذ بداية القرن العشرين وتطورت العنوانات الصحفية كذلك فأصبحت تمتد على عمودين أو أكثر ومهد ذلك لظهور العنوانات العريضة أو (المانشتات) المعروفة، وكان من أثر هذا النظام الجديد كذلك أن أصبح للصحافة مراسلون في الخارج ومندوبون للأخبار في الداخل ومحررون ممتازون يساعدون في تحرير الصحيفة، وقامت وكالات الأنباء المشهورة كوكالة (رويتر) ووكالة (هافاس) بخدمات كبيرة لهذه الصحف، معنى ذلك أن الصحافة المصرية كانت في عهد بداوة حقيقية إلى الوقت الذي وطئت فيه أقدام الإنجليز أرض الوطن المصري وكانت هذه البداوة تتمثل في بساطة الشكل الذي تصدر فيه الصحيفة، وقلة الأموال التي تستخدم في إصدار الصحيفة وبهذه المناسبة نذكر ما حكي عن أديب أسحق من أنه أراد مرة أن يصدر جريدة من وحي أستاذه جمال الدين الأفغاني، ولم يكن في جيبه إذ ذاك أكثر من عشرين قرشًا.

أما الصحف المصرية منذ عهد الاحتلال فقد انتقلت إلى طور جديد من حيث الشكل لا يقل في أهميته عن الطور الذي انتقلت إليه من حيث الروح أو الموضوع، فالحق لقد بلغت الصحافة المصرية حدًا من النضج في المظهر الخارجي يلفت نظر المؤرخ لهذه الصحافة ويحتم عليه أن يسجل هذه الظاهرة وانتقلت الصحافة المصرية لأول مرة في تاريخها إلى دور الصناعة وقطعت أول شوط من أشواط هذا الدور بعد إذ تركت دور البداوة، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الصحف المصرية بدأت تقوم على رؤوس الأموال الضخمة كما قلنا سواء عن طريق الشركات المساهمة أو

طريق الأفراد ذوي الثراء الواسع والقدرة المالية الكافية وقد ضربنا المثل بالجريدة التي كان يحررها لطفي السيد فقد كانت تتولى إصدارها شركة مساهمة من الأعيان المصريين وذوي المصالح الحقيقية وضربنا المثل أيضًا بجريدة الأهرام التي أسست أول شركة مساهمة في سنة ١٩٠٦ وكذلك كانت اللواء التي سبقت جميع الصحف إلى هذا النظام.

وأما (العنوانات) فقد خضعت هي الأخرى لكثير من التطور وبدا عليها كثير من التحسن، وكان الفضل في ذلك للأحداث الهامة التي وقعت في أوائل القرن العشرين، فقد بدأت هذه العنوانات تنتشر على أكثر من عمود وشيئًا فشيئًا عرفت الصحف العنوانات العريضة التي نطلق عليها اسم (المانشتات) وحسبك أيها القارئ أن ترجع إلى الصحف المصرية في السنة التي وقعت فيها حادثة دنشواي أو التاريخ الذي توفي فيه الزعيم الشاب مصطفى كامل ونحو ذلك لترى مصداق ذلك.

وأما الإعلانات فقد وجدت لها مكانًا متسعًا في جميع الصحف، وأصبحت مصدرًا هامًا من مصادر الإيراد، وكان يتحكم فيها ذوق أصحاب الصحيفة ومحررها أحيانًا، كما كان الحال مع أمين الرافعي محرر جريدة الأخبار، فقد كان من سياسة الإعلان لديه أن يرفض كل إعلان للمشروبات الروحانية مما غلا ثمنه.

وظاهرة أخرى تستحق التسجيل وهي أن الصحف المصرية كانت في عهد بداوتها تتخذ من الإسكندرية مقرًا لها باعتبار أنها البلد

الذي يسكنه أكثر الأجانب المقيمين بالديار المصرية. ولكن الحافة في العهد الأول من عمود الصناعة استقرت نهائيًا في القاهرة لأنها العاصمة ولأنها منبع الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية، وهناك صحيفتان كبيرتان نشأتا في الإسكندرية ثم انتقلتا إلى القاهرة وهما صحيفة الأهرام وصحيفة الأهالي، وبذلك أعطت كل منهما المثل لكل صحيفة تصدر بعد ذلك ولم تخرج على هذه القاعدة غير جريدة البصير التي أصدرها رشيد شميل سنة ١٨٩٧ في الإسكندرية وبقيت في هذه المدينة ولم تتحول عنها.

الفصل الثالث عشر

ثورة سنة ١٩١٩

كلمة تمهيدية

في عهد الاحتلال البريطاني بلغ الهوان بالوطنية المصرية حدًا طالب عهد اللورد كرومر بإلغاء الجنسية المصرية والدعوة إلى اعتبار مصر وطنًا دوليًا مباحًا لكل أجنبي يفد إليها ولو لمصلحة عابرة. بل إن الهوان بالوطنية المصرية بلغ كذلك حدًا رأينا معه المستشار البريطاني في مصر (وليم برونيت) يضع لمصر قانونًا نظاميًا ينزل بها إلى مرتبة أسوأ من مرتبة المستعمرات الإنجليزية، ذلك أنه جعل سلطة التشريع المصري بأيدي الأجانب بالاشتراك مع المصريين.

من أجل ذلك كان ينظر الإنجليز في تلك الظروف إلى مطالبة المصريين بالاستقلال والدستور على أنها نوع من الحماقة والجنون، وبهذا كان يصرح الكثيرون من المعتمدين البريطانيين. ومن ذلك نفهم أن ثورة سنة ١٩١٩ كان الغرض منها:

أولاً- التخلص من الاحتلال البريطاني والحماية البريطانية والأحكام العرفية.

ثانيًا- المطالبة بالاستقلال الحقيقي.

ثالثًا- المطالبة بالدستور والحكم النيابي بالصورة التي أوجد بها هذا الحكم في أكثر بلاد العالم المتمدن.

سعد زغلول زعيم الثورة

واقترنت هذه الثورة باسم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية وذلك منذ ذهب هذا الزعيم ومعه زميلاه عبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وهما عضوان بالجمعية التشريعية إلى دار الحماية البريطانية في الثالث عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ (أي بعد إعلان الهدنة بيومين فقط) وطلبوا من المندوب السامي البريطاني الترخيص لهم بالسفر إلى لندن لعرض مطالب الأمة المصرية على الحكومة البريطانية. فعلق المندوب السامي البريطاني على هذه المقابلة بقوله (أنه يدهش من أن ثلاثة فقط يتحدثون باسم أمة بأسرها دون أن يكون لهم توكيل عنهم).

إذ ذاك وردت على ذهن سعد زغلول فكرة تأليف الوفد المصري ليكون وكيلاً عن الأمة المصرية في المطالبة بحقوقها السياسية، وسرعان ما تألف لوفد وضع سعد صيغة التوكيل الذي وقعه أعضاء الجمعية التشريعية وكثير من أفراد الأمة المصرية.

ثم حدث أن أعلنت جمعية الاقتصاد والتشريع بالقاهرة في السابع عشر من شهر فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ عن اجتماع عام لسماع المحاضرة التي يلقيها المستر برافال عن الوضع السياسي الراهن في مصر، فانتهز سعد زغلول هذه الفرصة وحضر ومعه عدد كبير من المواطنين إلى

مكان الاجتماع، وانتهى المحاضر من إلقاء محاضرته ثم وقف سعد زغلول يعلق على الخطبة فقال:

(أيها السادة، إن بلادنا لها استقلال ذاتي ضمنته معاهدة ١٨٤٠ واعترفت بها المعاهدات الدولية الأخرى، وأنتم تعلمون أن الحماية لا تكون إلا بعقد يكون بين طرفين أو أمتين تطلب إحداهما أن تكون تحت حماية الأخرى وتقبل الأخرى أن تتحمل أعباء الحماية، وذلك ما لم يحصل في مصر في الماضي ولن يحصل منها في المستقبل، وفي سنة ١٩١٤ أعلنت إنكلترا الحماية من تلقاء نفسها وبدون أن تطلبها مصر أو تقبلها الأمة المصرية فهي إذن حماية باطلة ولا وجود لها قانونًا، لأنها من طرف واحد بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنتهي بنهايتها ولا يمكن أن تعيش هذه الحماية بعد الحرب بدقيقة واحدة.)

وترك سعد منبر الخطابة بين تصفيق المواطنين وأسقط رجال الاحتلال في أيديهم وقالوا يومها أن سعدًا نقل الثورة من الصالونات الخاصة إلى الشوارع العامة.

ومن ذلك الوقت أحس الاحتلال بالخطر من هذا السخط فنفي سعدًا وصحبه من أرض الوطن إلى جزيرة مالطة لا لشيء إلا لأنهم أبوا الخضوع لإنذارات السلطة البريطانية العسكرية التي حالت بينهم وبين السفر إلى باريس حيث مؤتمر السلام أو إلى لندن لعرض مطالب البلاد على الحكومة الإنجليزية غير أن هذا النفي كان بمثابة الشرارة الأولى لهذه

الثورة الشعبية التي بقيت مشتعلة سنتين وشهرًا، فقد بدأت في مارس (آذار) سنة ١٩١٩ واستمرت إلى أبريل (نيسان) سنة ١٩٢١.

الثورة تشمل جميع طبقات الأمة

والمهم في هذه الثورة أنها لم تكن محصورة في فئة بعينها ولا في طبقة بعينها بل اشترك فيها الشعب المصري بجميع طبقاته وجميع هيئاته من طلبة وعمال وفلاحين وموظفين رسميين وأطباء ومحامين ومهندسين، وكان للمرأة المصرية في هذه الثورة نصيب كبير أيضًا، ففي السادس عشر من شهر مارس (آذار) سنة ١٩١٩ خرجت مظاهرة من ثلاثمائة سيدة وقدمن احتجاجًا مكتوبًا للمعتمد البريطاني أنكرن فيه الحماية واستنكرن فيه الحيلولة دون سفر الوفد المصري إلى باريس بعرض القضية المصرية على (مؤتمر السلام).

وبعد حركات شعبية كثيرة من هذا القبيل اضطرت الحكومة البريطانية إلى الإفراج عن سعد زغلول وكان ذلك في السابع من شهر أبريل (نيسان) سنة ١٩١٩، وحاول الإنجليز في نفس الوقت أن يحاربوا القضية المصرية في مؤتمر السلام وأن يحملوا الدول على الاعتراف بالحماية.

وبالفعل أعلن المؤتمر قراراته وفيه تأييد ظاهر للحماية البريطانية على مصر، وهنا عادت الثورة بأشد مما كانت عليه وعاد الاضطهاد من جانب السلطة العسكرية البريطانية بأقوى مما كان عليه، وصمد الوطنيون في ثورتهم حتى أصدرت اللجنة الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي قرارًا بأن

مصر ليست تابعة لتركيا ولا تابعة لبريطانيا، وبذلك ضعف الأثر الذي كان لقرارات مؤتمر السلام.

لجنة ملنر

إذ ذاك صرحت إنجلترا بأنها ستبعث لجنة بريطانية برئاسة (لورد ملنر) إلى مصر لتجري تحقيقًا في أسباب الثورة وتفاوض المصريين في مطالبهم القومية، غير أن هذا اقترن بتصريح من جانب الحكومة الإنجليزية بتمسكها بالحماية، فثارت الخواطر في مصر لهذا التصريح ثم جاءت لجنة ملنر إلى مصر فقاطعها المصريون مقاطعة تامة، وأيقنت لجنة ملنر بأنه لا سبيل إلى مفاوضة المصريين إلا على أساس من الاعتراف استقلالهم، كما اقتنعت بأن الجهة الوحيدة التي يمكن التفاوض معها هي (الوفد المصري) برئاسة سعد زغلول لأنه الهيئة التي وكلتها الأمة المصرية للمطالبة بالاستقلال والحرية وبذلك نجحت الثورة في إلغاء الحماية البريطانية منذ صدر تصريح بريطاني في الثامن والعشرين من شباط سنة **١٩٢٢** اعترفت فيه إنجلترا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

وإذ ذاك أصبح من حق المصريين أن يضعوا لأنفسهم دستورًا يفي بحاجاتهم ويحقق أمانيهم، ووضع هذا الدستور في سنة **١٩٢٣** وبدأت مصر حياة نيابية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، وكان النواب المصريون يومئذ يمثلون حزبين كبيرين هما: حزب الوفد، وحزب الأحرار الدستوريين الذين كان لهم فضل وضع الدستور وصياغته صياغة قانونية. وكان بمصر

في ذلك الوقت أحزاب سياسية أخرى منها الحزب الوطني ولكن لم تكن لها أهمية هذين الحزبين الكبيرين اللذين تركا في الحياة النيابية السياسية في مصر أكبر الأثر.

الفصل الرابع عشر

الصحافة المصرية وثورة سنة ١٩١٩

في بداية هذه الثورة الشعبية الكبرى كانت الأحكام العرفية قائمة ومطبقة على الصحف المصرية بكل شدة، ومع هذا وذاك فقد وجدنا من الصحف الوطنية من كان يظهر التأييد لهذه الثورة بشيء كثير من الاحتياط والتحفظ، ومن أمثال هذه الصحف (جريدة الأهرام) التي أخذت ترد على مزاعم الإنجليز الذين اتهموا المصريين الثائرين بالتطرف، ومنها جريدة (الأهالي) لصاحبها عبد القادر حمزة وكانت من هذه الثورة على موعد ولذلك انتهزت كل فرصة لإظهار تأييدها لهذه الثورة، وانتقلت بسبب ذلك من الإسكندرية إلى القاهرة وتعرضت للتعطيل والإلغاء مرات عديدة.

أما صحيفة (المقطم) فأنها انفردت من دون الصحف الوطنية بوصفها الثورة بأنها (شغب ومظاهرات وحوادث يؤسف لها، وكارثة حلت بالبلاد وفتنة تهدد مصالحها) إلى آخر ذلك من الأوصاف.

ومضت الثورة في طريقها وكان لابد للصحافة من أن تستجيب لها وتنفعل بها، وبدأ المصريون يحسون بالتجاوب بين الصحافة والثورة بعد الإفراج عن سعد زغلول والسماح له ولأصحابه بالسفر من المنفى إلى باريس لعرض القضية الوطنية على مؤتمر السلام. وذلك بطبيعة الحال قبل أن يعلن المؤتمر قراراته المؤيدة للاحتلال وإذ ذاك اشتد ضغط الاحتلال

على الصحف الوطنية وعطل كثيرًا منها، فاستعاض الصحفيون الوطنيون عن هذه الصحف المعطلة بنشرات علنية تارة وأخرى سرية، ومن الأخيرة نشرة باسم (الوفد المصري) وأخرى باسم (أبو الهول).

ثم حضرت لجنة ملنر إلى مصر كما تقدم وقضت بها ثلاثة أشهر فرأى الاحتلال أن يبسط للصحافة المصرية مؤقتًا من حبل الحرية، وقصده من ذلك أن يتعرف على الرأي العام المصري في تلك الفترة، فانتهزت (الأهرام) و(الأهالي) هذه الفرصة ونشرت كل منهما مقالات كثيرة لبعض الوطنيين في المطالبة بالاستقلال وجلاء القوات البريطانية، ولما انتهت مهمة هذه اللجنة عاد الاحتلال إلى التضييق على الصحف بأكثر من ذي قبل.

يجمل بنا بعد ذلك أن نشير إشارة عابرة إلى أهم الأحداث السياسة التي أثرت في صحافة الثورة.

وكان من أهم هذه الأحداث ما يلي:

أولاً– وصول لجنة ملنر إلى القاهرة كما قدمنا، ويومها طلعت جريدة (النظام) لصاحبها سيد علي باقتراح وجد فيه المصريون مخرجًا لهم من هذه الورطة التي وقعوا فيها بسبب حضور لجنة ملنر، وهذا الاقتراح هو مقاطعة لجنة ملنر والحيلولة بينها وبين القيام بمهمتها على تلك الطريقة التي لم يرض بها الشعب.

ثانيًا– بدء المفاوضات المصرية الإنجليزية وذلك منذ اقتنعت لجنة ملنر بأن (الوفد المصري) برئاسة سعد زغلول هو الهيئة الوحيدة التي يمكن التفاوض معها في مطالب الأمة المصرية، بعد ذلك ذهب سعد من باريس إلى لندن لإجراء أولى هذه المفاوضات، واختلف الجانبان المصري والإنجليزي اختلافًا سياسيًا أدى إلى قطع المفاوضات، وإذ ذاك بدأ الشقاق في صفوف الأمة المصرية التي انقسمت يومها إلى فريقين:

١– فريق يرى أن الحكومة المصرية هي صاحبة الحق في إجراء المفاوضات مع الحكومة الإنجليزية.

٢– وفريق يرى أن (الوفد المصري) هو وحده صاحب الحق في ذلك بوصفه وكيلاً عن الأمة.

الفريق الأول بزعامة عدلي يكن رئيس الوزارة المصرية والفريق الثاني بزعامة سعد زغلول.

وحين رجع سعد زغلول من لندن إلى مصر بعد قطع المفاوضات مع لجنة ملنر سافر عدلي يكن بوصفه رئيسًا للحكومة المصرية لاستئناف هذه المفاوضات، ولكن عدلي يكن لم يفلح بدوره في الوصول إلى نتيجة فقطع المفاوضات وعاد إلى مصر وفيها هاتان الجبهتان المتعارضتان كل التعارض، وهما جبهة سعد وجبهة عدلي.

أما الحزب الوطني فلم يكن من مبادئه الرضا بالمفاوضات لأنه القائل بمبدأ (الجلاء قبل المفاوضات) ولذلك ابتعد عن هذه الحركة وبدأ ينساه الشعب المصري، وإن لم ينس بلاءه في عهد زعيمه الأول مصطفى كامل.

ثالثًا- أما ثالث الأحداث الهامة التي تأثرت بها الصحافة المصرية فهو تصريح ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢ فبعد أن تبين للإنجليز بما لا يدع مجالاً للشك أن الحماية أصبحت علاقة غير مرضية ولا مجدية بين مصر وإنجلترا أصدرت الحكومة البريطانية التصريح المذكور ألغت فيه الحماية البريطانية ومهدت بذلك لإلغاء الأحكام العرفية.

واعترف التصريح باستقلال مصر وسيادتها، ولكنه قرن ذلك بتحفظات أربعة وهي:

١. الدفاع عن مصر في وقت الحرب.

٢. حماية الأجانب المقيمين بها.

٣. حماية الأقليات كذلك.

٤. مسألة السودان.

وهاجمت صحف الوفد تصريح ٢٨ فبراير بقوة وعنف ووصفه سعد بأنه نكبة وطنية، وكذلك عارضت التصريح صحيفة من أهم الصحف في

تلك الفترة وهي صحيفة الأخبار لأمين الرافعي، ونظرت إلى الاستقلال الذي يعترف به التصريح على أنه شكلي وليس بحقيقي.

رابعًا– أما رابع الأحداث التي تأثرت بها الصحف المصرية فهو حادث صدور دستور سنة ١٩٢٣، فقد ترتب على تصريح ٢٨ فبراير أن تألفت وزارة مصرية برئاسة عدلي يكن وشيعته فقامت هذه الوزارة بتأليف لجنة لوضع الدستور ليس بها عضو من هيئة الوفد المصري، فوقفت الصحف المصرية من الوزارة موقف المعارضة في تشكيل هذه اللجنة، وذهبت صحف الوفد ومعها جريدة الأخبار إلى أن الدستور لابد له من جمعية تأسيسية تقوم بوضعه ولابد لهذه الجمعية من أن تكون على أساس الانتخاب.

وانتهز أمين الرافعي هذه المناسبة وقام بنشر سلسلة من البحوث القانونية العميقة في صحيفة الأخبار حول هذه المسألة، واقتدت الأهرام بصحيفة الأخبار في ذلك ونشرت بعض المقالات لبعض رجال القانون الدستوري وناقشت الصحافة المصرية بهذه الطريقة كثيرًا من المسائل التي منها حق الأقليات والنص على سلطة الملك الدستورية وتحديد هذه السلطة، ومنها مسألة السودان، والذي دعا الصحافة إلى مناقشة هذه المسألة الأخيرة هو تدخل الإنجليز في نصوص الدستور، ومنها النص الذي يشير إلى الملك على أنه (ملك مصر والسودان).

خامسًا– أي خامس الأحداث التي أثرت في الصحافة المصرية فهو ظهور الأحزاب السياسية الجديدة.

فرغت اللجنة من وضع الدستور وكان لابد للحياة النيابية الصحيحة من أن تبدأ في مصر في ذلك الوقت، ولم يكن من الطبيعي أن تجري الانتخابات البرلمانية وسعد غائب عن الوطن في المنفى ولذلك اتفقت السلطات البريطانية والحكومة المصرية على عودة سعد إلى الوطن فعاد إليه بعد غيبة طويلة دامت أكثر من سنتين، وأحسنت البلاد استقباله وبالغت في ذلك مبالغة أضعفت أمل الأحرار الدستوريين في الفوز في الانتخابات القادمة، وبذلك فاز الوفد بأغلبية ساحقة، يومئذ أصبح الوفد عقيدة سياسية للأمة المصرية، وأصبح سعد زغلول وحده رمز لهذه العقيدة.

أما هذه الأحزاب الجديدة التي ظهرت على مسرح السياسة فأهمها ما يلي:

١. حزب الوفد، وهو حزب الأغلبية وزعيمه سعد زغلول.

٢. حزب الأحرار الدستوريين الذي تم تأليفه بعد الفراغ من وضع الدستور، وزعيمه عدلي يكن.

٣. حزب الاتحاد (أو حزب السراي)، وكان الغرض منه –كما زعم ذلك رجال الديوان الملكي– إحداث التوازن بين الأحزاب السياسية القائمة.

وفشل هذا الحزب الملكي فشلاً تامًا ثم أعيد إنشاؤه باسم جديد هو (حزب الشعب) وذلك سنة ١٩٣٠ وفشل هذا الحزب الأخير كسابقه لا لشيء إلا لأنه لم يعتمد على حق دستوري في إنشائه فليس لملك من الملوك أن يكون له حزب سياسي في الدولة التي يحكمها.

٤. حزب الهيئة السعدية، ورئيسه أحمد ماهر وسيأتي ذكره فيما بعد.

أهم الصحف المصرية في ثورة سنة ١٩١٩

أولاً- صحف الوفد..

ظهرت باسم الوفد المصري صحف كثيرة في ذلك الوقت، ومنها:

البلاغ

وقد حصل على إذن بصدور هذه الجريدة الأستاذ عبد القادر حمزة في السادس عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٢، وبينما كان يستعد لإصدار العدد الأول منها علم سعد زغلول -وهو في المنفى- بنبأ هذه الصحيفة، فأرسل إلى صاحبها برقية تهنئة، وفي الثامن والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٣ صدر العدد الأول وفي أوله برقيات التهاني التي بعث بها سعد ورجال الوفد وبذلك بدت هذه الصحيفة وفدية واتخذت فيها شعارًا هو عبارة عن كلمه من كلمات سعد وهي:

(يعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل وأن تقوم الحبة بين الناس مقام القانون).

وبقيت صحيفة البلاغ تساند سعدًا حتى انتقل إلى جوار ربه في آب أغسطس ١٩٢٧، ومضت البلاغ في مساندة الوفد المصري حتى سنة ١٩٣٢ ثم تخلت عنه لأسباب كثيرة سنشير إليها بعد.

كوكب الشرق

وصاحبها أحمد حافظ عوض، وهي جريدة وفدية صدرت عام ١٩٢٤ وكانت لها اتجاهات شرقية إسلامية تجعلنا ننظر إليها على أنها امتداد لصحيفة المؤيد للسيد علي يوسف. وتوقفت كوكب الشرق عام ١٩٣٩، وشارك في تحريرها الدكتور طه حسين والدكتور أحمد ماهر زعيم حزب الهيئة السعدية وغيرهما.

ثانيًا– صحف الأحرار الدستوريين..

كان من أولى صحف هذا الحزب في مصر:

السياسة (اليومية)

وهي الصحيفة التي صدرت عقب تكوين حزب جديد باسم (الأحرار الدستوريين) وذلك في سنة ١٩٢٢، وكان يتولى تحرير هذه الصحيفة الدكتور مُحَمَّد حسين هيكل، وكانت تنفق على هذه الصحيفة شركة مؤلفة من أقطاب هذا الحزب وسراته.

وامتازت صحيفة السياسة في تاريخ الصحافة المصرية بدفاعها المجيد عن الحرية، ولا غرابة في ذلك فقد كان محررها مُحَمَّد حسين هيكل تلميذًا للأستاذ أحمد لطفي السيد محرر (الجريدة) والمدافع الأصيل عن الحريات في مصر. واشترك في تحرير (السياسة) اليومية كل من طه حسين وتوفيق دياب

ومصطفى عبد الرزاق أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة ومحمود عزمي وإبراهيم عبد القادر المازني.

ثالثًا- صحف الحزب الوطني..

اللواء المصري

لم يكن للحزب الوطني دور هام في الثورة الشعبية التي قامت في سنة ١٩١٩، ومع هذا وذاك فقد كان لابد أن يوجد للحزب الوطني صحيفة. وهذا ما حاوله رئيس ذلك لحزب (مُحَمَّد حافظ رمضان) بإصداره صحيفة اللواء المصري سنة ١٩٢١، غير أن هذه الجريدة لم تحظ بسعة الانتشار.

الأخبار([١])

كان للحزب الوطني قبل قيام الثورة جرائد كثيرة من أهمها جريدة الشعب التي كان يحررها أمين الرافعي، واحتجبت الشعب بإعلان الحماية البريطانية كما تقدم، فلما قامت الثورة المصرية رأى أمين الرافعي أن من واجبه أن يستأنف الجهاد الوطني فقام بتحرير(الأخبار) وهي الصحيفة التي أصدرتها (شركة الصحافة الوطنية) وظهر العدد الأول منها في العشرين من شهر فبراير(شباط) سنة ١٩٢٠.

([١]) كان من حق هذه الجريدة أن تذكر قبل غيرها من جرائد تلك الفترة. فمعذرة للقارئ لتأخير ورودها.

وآلى الرجل على نفسه في هذه الجريدة أن يدافع بإخلاص عن القضية المصرية ووقف وراء سعد في بداية الأمر يؤازره بكل قوة، ولكن ما لبث أن اختلف مع سعد عندما فكر هذا الزعيم في استئناف المفاوضات مع الإنجليز قبل أن يشترط عليهم تعديل الأساس الذي تبنى عليه هذه المفاوضات، غير أننا نعلم أن أمين الرافعي كان تلميذًا مخلصًا لمصطفى كامل وأنه اشترك في صحف الحزب الوطني على هذا الأساس، وحين عاد أمين الرافعي إلى الميدان الصحفي وأصبح محرر(الأخبار) قال (أنه لا يخدم في الأخبار هيئة خاصة ولا يعبر عن رأي طائفة بالذات وإنما يخدم أمة تدافع عن مبدأ واحد فقط هو الاستقلال التام).

وسارت الأخبار على هذا النهج إلى العاشر من شهر مايو (أيار) سنة ١٩٢٥، وفي ذلك اليوم صدرت الصحيفة باسم جديد هو:

اللواء المصري والأخبار : صحيفة الحزب الوطني

غير أن هذا الاتحاد بين اللواء المصري والأخبار لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر وأيام، انفصلت الأخبار بعدها عن اللواء المصري وبقيت كذلك إلى وفاة أمين الرافعي نفسه في ديسمبر ١٩٢٧.

الفصل الخامس عشر

الصحافة المصرية في عهد انتكاس الدستور ومعاهدة سنة ١٩٣٦

يمكن النظر إلى حياة مصر في ظل الدستور الذي أصدر في سنة ١٩٢٣ على أنها حياة ذات طورين:

١. طور انتعاش الدستور ١٩٢٣– ١٩٣٠.

٢. وطور انتكاس الدستور من سنة ١٩٣٥. كما سنشرح بعد ذلك.

في الطور الأول –طور انتعاش الدستور– نعم المصريون بحياة نيابية صحيحة وقد نص هذا الدستور على حرية الصحافة وكان لذلك أعظم الأثر في الحركة الأدبية والفكرية والصحفية وشهدت مصر في تلك الفترة أعظم كتابها وأدبائها في حقيقة الأمر.

وفي الطور الثاني– كان إسماعيل صدقي رئيسًا للوزارة المصرية فعطل الدستور في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٠ ووضع مكانه دستورًا آخر، وكان الفرق بين الدستورين أن الأول –وهو دستور سنة ١٩٢٣– كان يسمى دستور الأمة، وأما الثاني فكان يسمى دستور صدقي، وفي هذا الأخير من العيوب ما أثار ثائرة الرأي العام في مصر، فقد اعتبر صدقي أن الدستور منحة من الملك وليس حقًا من حقوق الشعب، ونص صدقي في هذا الدستور على أنه غير قابل للتعديل

لمدة عشر سنين ونقل هذا الدستور جميع الحقوق الشرعية التي للبرلمان إلى الحكومة وذلك في غيبة المجلس النيابي. من أجل ذلك قامت المظاهرات التي استشهد فيها كثيرون من طلبة الجامعة واتفقت الأحزاب السياسية على مقاطعة الانتخابات التي أعلن عنها صدقي، وظهرت فكرة الائتلاف بين الأحزاب وتألفت (الجبهة الوطنية) التي استطاعت أن تعيد دستور سنة ١٩٢٣ برغم محاولات الإنجليز وإظهارهم عدم الرضا عن هذا الدستور وتم للمصريين ذلك في عام ١٩٣٥.

معاهدة التحالف بين مصر وإنجلترا سنة ١٩٣٦

وفي العام التالي لإعادة الدستور المصري عقدت بين مصر وإنجلترا معاهدة في السادس والعشرين من آب (أغسطس) سنة ١٩٣٦، وبها أصبح لمصر استقلال مقيد بمعاهدة سنة ١٩٣٦ بعد إذ كان لها استقلال مقيد بتصريح ٢٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٢، ومنذ ذلك الوقت أصاب الحركة الوطنية نوع من التميع انعكست صورته على الصحافة، وكان لكل حزب سياسي صحفه التي تدافع عن وجهة نظره، وتهاجم غيره من الأحزاب الأخرى، وكثر إغراء الصحف لكبار الكتاب بالمال وظهر التذبذب السياسي في أقلام أولئك الكتاب، وفسدت أداة الحكم في مصر وضج الشعب من هذا الفساد وامتلأت نفوس الشباب بالسخط، وتنوّعت وجهات النظر في الكفاح ضد هذه الحالة السيئة فكان ثم كفاح سياسي وكفاح ديني وكفاح فكري وظهرت انطباعات ذلك في الجرائد المصرية والمجلات المصرية، ومنها على سبيل المثال:

١. الصرخة، لسان حال الجماعة المعروفة (بمصر الفتاة) صدرت في عام ١٩٣٣ وعطلتها الحكومة فأصدرت الجماعة بديلاً عنها:

٢. صحيفة (الضياء) سنة ١٩٣٦.

ثم ظهرت باسم هذه الجماعة أيضًا:-

٣. (الثغر) سنة ١٩٣٧. وأخيرًا:

٤. صحيفة (مصر الفتاة) وذلك بعد أن تحولت هذه الجماعة إلى حزب سياسي سنة ١٩٣٨.

وكانت كل هذه الصحف تصدر أسبوعية وفي حجم النصف المعروف باسم (تابلويد). وكان يشترك في تحرير هذه الصحف كلها (أحمد حسين رئيس الحزب وفتحي رضوان ونور الدين طراف ومُحَمَّد صبيح).

وكل هذه الصحف تنم عن الثورة السياسية لتلك الفترة. وقد ظهرت إلى جانبها صحف تنم عن هذه الثورة أيضًا وعن ثورة أخرى فكرية ودينية ومنها:-

١- الطائف

وهي صحيفة أسبوعية أصدرها يوسف حلمي وأحمد سعد الدين كامل سنة ١٩٣٧، وكانت لها فوق ذلك مشاركة قوية في محاربة الأوضاع السياسية الفاسدة، غير أنها لم تدم طويلاً.

ثم من هذه الصحف التي كانت تنم عن السخط على الحالة القائمة:

٢- جريدة الإخوان المسلمين

أصدرها الشيخ طنطاوي جوهري، أسبوعية، صدرت عام ١٩٣٣، ثم انتقل امتيازها بعد ذلك إلى الشيخ حسن البنا وتحولت إلى صحيفة يومية تهتم اهتمامًا كبيرًا بالشؤون الدينية، وكان لها أعمق الأثر في الشباب المصري الذي وجد فيها متنفسًا عما يشعر به من السخط أو الغيظ.

ومن صحف الإخوان المسلمين كذلك:

٣- النذير

وهي صحيفة أسبوعية صدرت عام ١٩٣٨، وكانت سياسية أكثر منها دينية، ثم اعتزلت جماعة الإخوان المسلمين وانضمت إلى جماعة دينية أخرى باسم (شباب مُحَمَّد) وأصبحت تعبر عنها. وكانت هذه الجماعة الأخيرة تضم إليها أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين وأعضاء في نفس الوقت من جماعة مصر الفتاة.

موقف الصحافة المصرية من معاهدة ١٩٣٦

دعت الصحف المصرية إلى عقد هذه المعاهدة وكانت تأمل فيها خيرًا وبدأت المفاوضات من أجل هذه الغاية، وكان الجانب المصري ممثلاً لجميع الأحزاب المصرية فيما عدا الحزب الوطني الذي استمر على مبدئه

القائل (لا مفاوضة إلا بعد الجلاء)، وتم توقيع المعاهدة في السادس والعشرين من شهر أغسطس (آب) ١٩٣٦.

وكان أسوأ ما في المعاهدة أمران:-

أولهما- يتصل بمسألة السودان، وينظر إليه على أنه مستعمرة إنجليزية بها جيش مصري، ولهذا الجيش قائد إنجليزي.

ثانيهما- يتصل بالشروط العسكرية التي منها على سبيل المثال:

١. زيادة المناطق العسكرية التي تحتلها القوات البريطانية بعد المعاهدة عما كانت عليه قبل المعاهدة.

٢. تحديد عدد القوات البريطانية في مصر في وقت السلم بعشرة آلاف جندي وأربعة آلاف طيار إلخ..

٣. بناء ثكنات عسكرية للقوات البريطانية في مصر على نفقتها، أي على نفقة مصر.

من أجل ذلك وقف الصحف الوطنية موقف المعارضة الشديدة لهذه المعاهدة. ومن أولاها إذ ذاك صحيفة (البلاغ)، فقد وجهت نقدًا شديدًا للمعاهدة وساعدها على ذلك أن صاحبها عبد القادر حمزة كان قد خرج من الوفد احتجاجًا على تصرفاته السياسية التي نتج عنها أول تصدع في جبهة الوفد سنة ١٩٣٢.

وكان من الصحف المعارضة كذلك للمعاهدة صحيفة (السياسة) لمحررها الدكتور مُحَمَّد حسين هيكل، وقد حاربت هذه الصحيفة نصوص المعاهدة محاربة قوية.

ومن الصحف المعارضة للمعاهدة أيضًا صحيفة (الضياء) وهي من صحف مصر الفتاة كما تقدم وقد وقفت موقف السخط على هذه المعاهدة ونشر بها عباس محمود العقاد مقالات عنيفة حمل فيها على المعاهدة، أما صحف الحزب الوطني فقد اعتبرت المعاهدة باطلة من أساسها.

أما الأهرام فقد أفسحت صدرها لمختلف الكتاب الذين عبروا عن آرائهم في المعاهدة، فمنهم من كان يعارضها بقوة، ومنهم من كان يرى فيها بعض المزايا السياسية التي منها اتفاق الجانبين المصري والإنجليزي على إلغاء الامتيازات الأجنبية.

وأما صحيفة (المقطم) ومعها صحف الوفد إذ ذاك فقد رحبت وهللت وكبرت لهذه المعاهدة، ووصفها الرئيس مصطفى النحاس يومئذ بأنها (وثيقة الشرف والاستقلال) ثم أثبتت له الأيام عكس ذلك، وطالب هو بإلغائها في أكتوبر سنة **١٩٥١**.

وكان من أشهر صحف تلك الفترة –أعني فترة انتكاس الدستور– كذلك ما يلي:

١- البلاغ الجديد

وهي جريدة يومية أصدرها عبد القادر حمزة بعد عام واحد من تعطيل البلاغ القديم في عهد صدقي، وبعد أربع عشرة جريدة عطلت له كذلك واشترك في تحرير البلاغ الجديد كثيرون منهم زكي مبارك،وسلامة موسى، وعبد القادر المازني، غير أنه منذ العدد الرابع عشر عادت هذه الصحيفة إلى اسمها القديم (البلاغ) فقط. وهذه الصحيفة أي البلاغ هي التي عارضت معاهدة سنة **١٩٣٦** كما قدمنا، وهي التي حاربت فساد الحكم في مصر وفساد الحياة الحزبية أيضًا وحاربت التملق السياسي الذي حل محل النقد السياسي، ثم هي الصحيفة التي أخذت تناوئ الوفد بعد أن انحرف عن طريقه وتساهل في حقوق الأمة وأدى ذلك كله إلى استهتار الإنجليز بالحركة الوطنية.

٢- الجهاد

وهي جريدة يومية أصدرها مُحَمَّد توفيق دياب سنة **١٩٣١**، وكانت هذه الصحيفة فيما مضى من الأسلحة التي حارب بها الوفد حكومة إسماعيل صدقي، ولهذه الصحيفة كزميلتها (كوكب الشرق) ميول واتجاهات عربية إسلامية، اشترك في تحريرها كل من طه حسين وعباس محمود العقاد ومحمود عزمي. وتوقفت عن الصدور سنة **١٩٣٨**.

٣- روز اليوسف (اليومية)

صدرت سنة ١٩٣٥ وكانت وفدية أول الأمر، ثم اختلفت مع الوفد فأعلن هذا الحزب براءته منها وحاربها فاضطربت أحوالها وبقيت على ذلك حتى أصدرت إحدى حكومات الوفد قرارًا بإلغائها سنة ١٩٣٧، وكان يكتب فيها عباس محمود العقاد ومحمود عزمي وكامل الشناوي.

٤- المصري

وهي صحيفة يومية صدرت عام ١٩٣٦ واشترك في إصدارها محمود أبو الفتح ومُحَمَّد التابعي وكريم ثابت، وكانت تبدو محايدة في سياستها أول الأمر ثم أصبحت متطرفة بعد ذلك. واعتمد عليها الوفد كثيرًا بعد أن فقد أكثر صحفه التي سبقت الإشارة إليها.

٥- الوفد المصري

صحيفة يومية كانت لسانًا رسميًا للوفد في سنة ١٩٣٧، وكانت أكثر الصحف الوفدية تطرفًا وتعصبًا لهذا الحزب السياسي، وإن كانت في الوقت نفسه في مستوى أقل من مستوى زميلتها (صحيفة المصري) وأقل كذلك من مستوى الصحف الوفدية الأخرى.

٦- الدستور

وهي صحيفة يومية صدرت عام ١٩٣٨ وذلك باسم (الهيئة السعدية) التي انشقت عن الوفد المصري وتم تكوينها بهذا الاسم برئاسة الدكتور أحمد ماهر ومن بعده برئاسة محمود فهمي النقراشي. وكان يرأس تحرير هذه الصحيفة الأستاذ مُحَمَّد خالد وكانت عنايتها مقصورة على محاربة الوفد.

وهناك صحف أخرى لم تكن لها أهمية الصحف التي أشرنا إليها وكان بعضها يمثل وجهة نظر القصر الملكي ومنها –كما سبق أن ذكرنا ذلك– (صحيفة الشعب) التي صدرت عام ١٩٣٦ بأمر من إسماعيل صدقي وهي الصحيفة التي قلنا أنها لم تنجح كما لم تنجح زميلتها (صحيفة الاتحاد) التي كانت تعبر كذلك عن اتجاهات القصر والتي ظهرت عام ١٩٣٥.

المهم أننا نسجل هنا ملاحظة تاريخية لها أهميتها، وخلاصة هذه الملاحظة أن الصحف المصرية لتلك الفترة تركزت كلها في مدينة القاهرة ولم تصبح مدينة الإسكندرية منافسة للقاهرة في شيء من ذلك، واختفت من هذا الثغر جميع الصحف فيما عدا صحيفة صغيرة هي صحيفة (البصير) التي استحالت إلى صحيفة تجارية خالصة وبعض الصحف التي تنتمي إلى الجاليات الأجنبية المقيمة في مدينة الإسكندرية.

الفصل السادس عشر

الصحافة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، فعمدت إنجلترا إلى تطبيق معاهدة ١٩٣٦ والانتفاع بها إلى آخر درجة ممكنة، ووضعت إنجلترا لذلك لنفسها سياسة جديدة إزاء الأحزاب السياسية الموجودة في مصر وهي سياسة الاعتماد التام على (حزب الوفد) دون سائر الأحزاب، وذلك بالرغم من عوامل الانحلال التي بدأت تنخر في هذا الحزب قبل هذا الوقت. وكان القصر الملكي قبل قيام الحرب بعامين – أعني منذ تولى فاروق سلطته الدستورية بعد وفاة والده عام ١٩٣٧– يقوم بدعاية واسعة النطاق للملك وكان الغرض من ذلك إظهار فاروق بمظهر الملك الصالح أو الملك الغيور على الشعب، وبلغت هذه الدعاية ذروتها في حادث ٤ فبراير (شباط) عام ١٩٤٢ وفيه حشد الإنجليز دباباتهم حول قصر عابدين، وأجبروا الملك على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة، فأذعن الملك لهذه الإرادة وجاءت الوزارة الوفدية على أسنة حراب الإنجليز – كما وصفها أعداء الوفد بهذا الوصف– وتأثرت الصحف المصرية بحادث وقوع الحرب العالمية الثانية وأخذت تنسحب من الميدان واحدة تلو الأخرى، فاختفت صحف (السياسة) وهي جريدة الأحرار الدستوريين، و(العلم المصري) وهي من جرائد الحزب الوطني وصحيفة (مصر الفتاة). واختفت كذلك مجلة (اللطائف المصورة).

وجاء حادث ٤ فبراير (شباط) **١٩٤٢** عاملاً آخر من عوامل انصراف الصحف عن الأمور الجدية وأكثر من ذلك أننا رأينا بعض الصحف تناصر حركة القصر الملكي، فكانت مجلة (آخر ساعة) من جانب و(أخبار اليوم الأسبوعية) من جانب آخر مسرحًا كبيرًا لهذه الحركة.

ومضت الصحافة المصرية في سياستها الجديدة تجاه الملك، ومضى الملك من جانبه في الاعتماد على حكومة الوفد، واختفت المسؤولية الوزارية وضعفت الروح الدستورية، وفسدت أداة الحكم، وانهارت الأخلاق، وبلغت هذه الحالة ذروتها في الوقت الذي اشترك فيه الجيش المصري في حرب فلسطين عام **١٩٤٨**.

وكانت هذه الحرب في ذاتها تجربة مريرة كشفت للمصريين بنوع خاص عن جميع المساوئ التي أشرنا إليها.

غير أنه بالرغم من سوء الحالة التي وصلت إليها البلاد إذ ذاك فكرت الصحف المصرية في العودة إلى نشاطها الأول، فأخذت تطلب بإعادة النظر في معاهدة **١٩٣٦** كما نشطت في الدعوة إلى إنماء الوعي العربي الذي أقترن بظهور مشكلة فلسطين، وانتهزت الصحافة المصرية لكل ذلك فرصة انتهاء الحرب العالمية و ظهور بوادر السلام ورفع الأحكام العرفية وهناك سمة أخرى لضعف الصحافة المصرية في تلك الفترة وهى غلبة المواد الإخبارية وعناية الصحف بها أكثر من عنايتها بالمقال الصحفي، والواقع أن الصحف المصرية لم تكن في ذلك بدعاً بين صحف

العلم كله، فقد بدا للناس إن (عصر المقال) قد اختفى وحل محله (عصر الخبر).

أجل، زادت عناية الصحف بالأخبار الخارجية والأخبار الداخلية وأصبحت أكثر اهتماماً بأخبار الدول العربية وحوادثها، مثل حركة رشيد عالى الكيلانى بالعراق عام ١٩٤١ واشتباك الفرنسيين باللبنانيين منذ عام ١٩٤٣، وساعد كل ذلك على توعية الشعب المصري بالقومية العربية من جهة وعلى زيادة الشعور بسوء الحالة الراهنة من جهة ثانية.

غير أن هذا السخط الذي شمل أكثر طبقات الشعب لم تعبر عنه الصحافة المصرية في ذلك الوقت قدر ما عبر عنه الشباب المصري الذي أشترك في حوادث الإضراب والإرهاب التي كان من نتائجها اغتيال (أحمد ماهر) و(أمين عثمان) سنة ١٩٤٥ وغير ذلك من الحوادث التي كان يعبر بها الشعب عن سخطه على الملكية من جهة والاستعمار من جهة ثانية.

و يحسن بنا هنا الإشارة الموجزة إلى بعض الصحف التي اقترنت بهذه الفترة ومنها:-

الكتلة الوفدية

أنشأها مكرم عبيد سنة ١٩٤٤ بعد انشقاقه على حزب الوفد وتأليفه حزباً سياسياً جديداً باسم الكتلة الوفدية سنة ١٩٤٢، وقد أفسحت هذه الجريدة صدرها لعدد كبير من شباب الصحافة الذين أرادوا

أن يجعلوا منها جريدة رأى، وذلك في وقت اتجهت فيه جميع الصحف – كما قلنا– إلى الخبر، ثم اختفت هذه الجريدة سنة ١٩٤٩.

أخبار اليوم

أصدرها التوأمان مصطفى أمين وعلى أمين في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٤، صدرت هذه الصحيفة أسبوعية ولكن في حجم الجرائد اليومية، وتجمع بين خصائص هذه وتلك ومن هنا كتب لها النجاح والتفوق، والحقيقة أنه كان لهذا التفوق أسباب أخرى تتصل بالفن الصحفي الذي برع فيه التوأمان براعة لا تحتمل الشك.

ومالت هذه الصحيفة في أول أمرها إلى القصر الملكي وحاربت الوفد ثم تحولت فجأةً إلى النقيض وسلكت في ذلك طرقاً أنقذتها من الوقوع تحت طائلة القانون، ومع ذلك عارضتها صحف الوفد وهاجمتها واتهمتها بعدم الولاء للملك.

وكانت (أخبار اليوم) من أقوى الصحف التي نادت بإنشاء معاهدة ١٩٣٦، وشاركتها في ذلك (مجلة آخر ساعة) بعد أن أشتراها مصطفى أمين من محمد التابعي سنة ١٩٤٦، وزاد ذلك في رواج الصحيفتين معاً.

وكان من حسنات أخبار اليوم أنها أستكتبت كثيراً من أشهر الأدباء في مصر في ذلك الوقت مثل: توفيق الحكيم، وإبراهيم عبدالقادر المازني، ومحمود عزمي، ومحمد التابعي، وذكى عبدالقادر، وكامل الشناوي، وعباس

محمود العقاد، وغيرهم، كما كان من حسناتها كذلك أنها انتفعت بجهود الرسامين البارزين مثل (صاروخان) و(رخا).

صوت الأمة

وهي صحيفة يومية سياسية صدرت عام ١٩٤٦، وحلت إذ ذاك محل صحيفة الوفد المصري، وكان الوفد يعتمد على صحيفة صوت الأمة بعد إقصائه عن الحكم وبعد تخلى الكثير من الصحف الوفدية عن هذا الحزب، واشتركت هذه الصحيفة في الدعوة إلى النظر في معاهدة ١٩٣٦ والدعوة إلى تصفية الاحتلال البريطاني ولكن في الوقت نفسه مالت إلى القصر الملكي، وكان ذلك من عوامل اختفائها.

وظهرت كذلك صحف كثيرة منها:

النداء

أصدرها ياسين سراج الدين سنة ١٩٤٧ وكانت من الصحف الوفدية.

بلادي

صدرت في أواخر عام ١٩٤٤ باسم الهيئة السعدية التي كان يرأسها الدكتور أحمد ماهر وتلاه في رئاستها محمود فهمي النقراشي.

الأساس

صدرت عام ١٩٤٧، يومية سياسية تتحدث باسم الهيئة السعدية، وفي هذه الصحيفة نشر عباس محمود العقاد كثيراً من المقالات العنيفة التي هاجم فيها الرئيس مصطفى النحاس.

صحف القصر

أما القصر الملكي ومعه الاستعمار فلم يعد لهما جريدة تتحدث باسمهما عدا صحيفة المقطم المعروفة، بل أن هذه الصحيفة كانت تعنى إذ ذاك بالقصر أكثر من عنايتها بدار المندوب السامي البريطاني.

وبقى الحال على ذلك حتى صدرت:

الزمان

أصدرها (ادجار جلاد) أحد رجال القصر الملكي حينذاك، وصدرت يومية سياسية سنة ١٩٤٧ ولها من الإمكانيات المادية ما أرتفع بها إلى مستوى الصحف الكبرى.

ونذكر أيضاً الصحف التالية:

١- مصر القناة، عادت أسبوعية عام ١٩٤٤ تنادى بالاشتراكية وتحارب الفساد بكل قواه.

٢- اللواء الجديد، أصدرها فتحي رضوان في أواخر عام ١٩٤٤ وقد دعت هذه الصحيفة إلى أحياء مبادئ الحزب الوطني، وكان لها فضل المشاركة في التعبير عن سخط البلاد على الأوضاع القائمة.

٣- الأخوان المسلمين، صدرت يومية عام ١٩٤٦، دعت إلى قيام حكومة إسلامية تحارب الاحتلال والفساد والحزبية، وقد عطلت عام ١٩٤٨.

٤- البعث، مجلة شهرية أصدرها الدكتور مُحَّد مندور في أواخر عام ١٩٤٤ وتعطلت في سنة ١٩٤٦.

٥- الشهاب، مجلة شهرية أصدرها الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الأخوان المسلمين، وعاشت من عام ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٤٩.

حرب فلسطين و أثرها على الصحافة المصرية

نجح الاستعمار في اغتصاب فلسطين وإعطائها لقمة سائغة لإسرائيل، فثارت الخواطر لهذا الحدث ولكن الفساد كان يسري في البلاد المصرية معتمداً يومئذ على القصر الملكي وعلى الاستعمار نفسه من جانب آخر.

إذ ذاك لم تجد الصحف المصرية أمامها غير طريق واحد وهو تشجيع الشباب المصري على الانضمام إلى كتائب المتطوعين للكفاح من أجل فلسطين، ثم اشتركت الجيوش العربية في محاربة إسرائيل وانهزمت لأسباب

معروفة للجميع، وكثرت حوادث الإرهاب بعد ذلك، وكان من نتائجها حل جماعة الأخوان المسلمين وقتل النقراشي رئيس الهيئة السعدية بعد أحمد ماهر، وكان من أثارها كذلك تتابع الوزارات المصرية التي انتهت بوزارة حسين سرى، وهى الوزارة التي أجرت الانتخابات، وفيها فاز الوفد بالأغلبية الساحقة.

وجاءت الوزارة الوفدية فألغت الأحكام العرفية التي كانت مفروضة على البلاد في أثناء الحرب الفلسطينية، ومن ثم استأنفت الصحافة المصرية نضالها الوطني الذي أقترن بظهور صحف منها:

١. آخر لحظة

صدرت في عام ١٩٤٩ ملحقاً بمجلة آخر ساعة، وكان هذا الملحق في الواقع مصغراً لجريدة (الأخبار) اليومية التي صدرت قبل ثورة يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢ بشهر واحد فقط.

٢. الشعب الجديد

صدرت أسبوعية عام ١٩٥١ لصاحبها إبراهيم شكري عضو الحزب الاشتراكي وهى من الصحف الأسبوعية الناطقة باسم مصر الفتاة.

٣. الدعوة

صحيفة أسبوعية من صحف الأخوان المسلمين، أصدرها صالح عشماوي سنة ١٩٥١.

٤. الجمهور المصري

أصدرها أبو الخير نجيب عام ١٩٥٠، وكانت مثالاً من أمثلة الصحف التي تعتمد على عنصر الإثارة والتي تبتعد كذلك كثيراً عن آداب مهنة الصحافة وتتاجر أحياناً بأعراض الناس و نحو ذلك.

٥. روز اليوسف

لقد قامت هذه المجلة بأخطر حملة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية وكانت في حقيقتها نقطة تحول في تاريخ الصحافة؛ لأنها كانت من العوامل التي قضت على عهد الملكية، كما كانت من العوامل التي أدت إلى ثورة الجيش في ٢٣ يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢.

في هذه الحملة الصحفية كشفت روز اليوسف عن صفقات الأسلحة الفاسدة التي عقدها الملك فاروق وعدد من رجال القصر وضباط الجيش.

وعن هذا الحادث الخطير قدم عضو الشيوخ (مصطفى المراغي) استجواباً للحكومة الوفدية، وبسبب هذا الاستجواب أبعد عن المجلس.

وبسبب هذه الحملة الصحفية تدخل القضاء المصري في الموضوع، وبدأ التحقيق مع (أحسان عبد القدوس) رئيس تحرير المجلة، وتدخل القصر الملكي كذلك في التحقيق واتخذت الصحافة المصرية كل ذلك ذريعة لمهاجمة الملك نفسه، وأشترك في الحملة إلى جانب (روز اليوسف) صحف (المصري) و(اللواء الجديد) و(مصر الفتاة) وغيرها، كما أشترك فيها مكرم

عبيد، ومصطفى مرعي، ووقف (مجلس الدولة) نفسه موقف المؤيد لهذه الحركة، فأوحى الملك إلى الوزارة بإلغاء هذا المجلس، وثار الشعب المصري على الإرادة الملكية اليائسة وحال دون تنفيذها، فعمد الملك إلى إصدار تشريع جديد يقيد حرية الصحافة بما لم تر مثله من قبل ولم ترضح له وأزداد سخط الشعب المصري على هذه الحالة، واتسعت الحملات الصحفية بعد ذلك حتى شملت الميادين الأخلاقية والاقتصادية وأكثرت من الحديث عن الفلاح المصري وما يعانيه من البؤس والفاقة، والحديث أيضاً عن العامل المصري وما يقاسيه من طغيان أصحاب رؤوس الأموال.

وساعدت على الشعور بكل هذا السخط حركة أخرى قامت في ذلك الوقت هي حركة النشرات السرية التي كان يصدرها الطلبة والعمال من جهة والضباط الأحرار من جهة ثانية وشحنت النفوس غيظاً وامتلأت بغضاً للملكية وحنقاً على الفساد وانتهت المأساة بحريق القاهرة في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٢.

ومهد ذلك كله لقيام حركة الجيش في الثالث والعشرين من شهر يوليه (تموز) ١٩٥٢ وهي الثورة التي تعيشها الصحافة المصرية والصحافة العربية في الوقت الحاضر.

الفصل السابع عشر

التقدم الفني للصحف المصرية حتى قيام الحرب العالمية الثانية

قبل أن نترك الكلام عن صحافة الثورة وما تلاها من أحداث سياسية انتهت بالمعاهدة المصرية–البريطانية لسنة ١٩٣٦ يجمل بنا أن نشير إشارة عابرة إلى التقدم الباهر الذي أحرزته الصحف المصرية في المجال الفني حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وقد كان هذا التقدم في المجلات المصرية أوضح منه في الجرائد اليومية.

و من أشهر هذه المجلات إذ ذاك.

الكشكول

لصاحبها سليمان فوزي.. صدرت عام ١٩٢١، وبدت للناس محايدة أول الأمر، ثم انزلقت في معارضة الوفد ومهاجمة الأحرار الدستوريين بعد حادث (الائتلاف) الذي وقع بين هذين الحزبين دفاعاً عن الدستور الذي ألغاه صدقي وأشترك في تحريرها حسين شفيق المصري وإبراهيم جلال وغيرهما وأحرزت تقدماً فنياً وراجت رواجاً عظيماً.

روز اليوسف

و قد صدرت سنة ١٩٢٥ و كانت في أول أمرها مجلة فنية ثم ما لبثت أن تحولت إلى سياسية للدفاع عن الوفد ضد هجمات (الكشكول)، ثم خرجت على الوفد كما خرجت على شقيقتها اليومية من قبل، وكما كانت (روز اليوسف) اليومية تعانى من حكومات الأكثرية أو الوفد فكذلك عانت مجلة روز اليوسف الشيء الكثير من حكومات الأقلية، وكان يشترك في تحريرها (محمد التابعي) الذي تقدمت المجلة على يده تقدماً فنياً كبيراً جعل من حقه أن يحصل على نصف ما تدره من أرباح.

ومن الناحية الفنية الخالصة يمكن النظر إلى مجلة روز اليوسف على أنها مدرسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، وفيها تخرج الكثيرون من أمثال محمد التابعي وجلال الحماصي ومصطفى أمين وعلي أمين والرسام المشهور باسم (ألكسندر صاروخان) والرسام عبد المنعم رخا.

آخر ساعة

أصدرها محمد التابعي عام ١٩٣٤ بعد أن أعتزل العمل في مجلة روز اليوسف وكانت آخر ساعة وفدية متطرفة في أول الأمر وبقيت على ذلك مدة.

والذي دعانا إلى إعادة الإشارة العابرة إلى هذه المجلات الثلاث هو ما سبق أن قلناه من أنها أحرزت– ومعها الصحف اليومية التي ظهرت وقتذاك نجاحاً كبيراً في المجال الفني.

ومن مظاهر هذا التقدم ما يلي:-

أولاً- اشتراكها جميعاً في السخرية اللاذعة والتهكم المرير، وقد ساعد على ظهور هذا الأسلوب من أساليب التحرير في ذلك الحين صدور الدستور سنة ١٩٢٣ وقد نص نصاً صريحاً على حرية الصحافة.

كما ساعد على ظهور هذا الأسلوب الذي منح الأحزاب والصحافة كل هذه الحرية.

ثانياً- اشتراك الجرائد والمجلات كذلك في التعبير عن هذه السخرية بطريق الصور والرسوم الكاريكاتورية ورسوم الكارتون، والفرق بينهما أن الكاريكاتوري تصوير للأشخاص وتجسيم الملامح التي تميز شخصاً عن آخر أو المبالغة في إبراز هذه الملامح مبالغة واضحة، وبذلك يتألف من الرسم الكاريكاتوري ومن الكلمات المصاحبة له نكتة تبعث على الضحك والسخرية.

أما (الكارتون) فهو تعبير عن الحوادث وعن الأفكار وعن المواقف التي يقفها بعض الأشخاص أو الهيئات وذلك بقصد توجيه النقد اللاذع لهؤلاء الأشخاص أو الهيئات أو الأحزاب في مواقفهم وأفكارهم ونزعاتهم واتجاهاتهم ونحو ذلك.

ولم تقتصر هذه الرسوم على المجلات الدورية بل شملت الصحف اليومية، فظهرت بوضوح في جريدة البلاغ وجريدة السياسة اليومية وجريدة

كوكب الشرق وجريدة روز اليوسف اليومية وجريدة المصري، وشاركت الأهرام كذلك مشاركة ما في هذا المجال.

وليست الأسماء التي ذكرناها للمجلات أو الجرائد المصرية إلا أمثلة فقط من هذه الصحف التي أزدهر منها هذا العدد فى الفترتين اللتين تحدثنا عنهما وهما:

فترة انتعاش الدستور وفترة انتكاسه.

و كانت مزدهرة في الأولى أكثر مما كانت في الفترة الأخيرة.

ثالثاً- عناية الصحف والمجلات على اختلافها بعنصر الصورة الصحفية فظهرت في مجلات دار الهلال بنوع خاص وعنيت هذه المجلات بالصورة الغائرة (أي طريقة الروتوغرافية) ومنها:

* مجلة المصور التي صدرت عام ١٩٢٩.

* (كل شيء) التي صدرت عام ١٩٢٥.

* (الدنيا المصورة) التي صدرت عام ١٩٢٩.

وهذا كله فضلاً عن مجلة (اللطائف المصورة) التي اتبعت نفس الطريقة الحديثة في التصوير، ولهذه الأسباب المتقدمة اهتمت الجرائد

اليومية بأن تكون لكل واحدة منها قسم خاص (بالكليشيهات) بدلاً من الاعتماد في ذلك على الدور الخاصة بهذه العمليات في خارج الجريدة.

رابعاً- اشتراك جميع الصحف والمجلات في التجديد الواضح من حيث الإخراج، ومن ذلك عنايتها بالعنوانات العريضة (المانشتات) أو الدائرة، والذي نعلمه من أمر هذه الظاهرة الفنية الحديثة أنها بدأت لأول مرة في تاريخ الصحافة المصرية في ملحق من ملاحق الجريدة التي كان يحررها أحمد لطفي السيد، وكان ذلك في الحادي عشر من فبراير (شباط) ١٩١٠ وفي ذلك اليوم صدرت الجريدة وبها العنوان العريض التالي: (الجمعية العمومية و قناة السويس)

مشيراً إلى عدم موافقة هذه الجمعية على مشروع مد امتياز القناة.

خامساً- يضاف إلى كل ما تقدم تجديد الصحف والمجلات المصرية في الموضوعات والأساليب فضلاً عن التجديد في الإخراج والتبويب، وعن التجديد في الحروف والهيئات الطباعية التي تظهر على صفحات المجلة أو الجريدة.

ولقد أفردت الصحف اليومية -فضلاً عن المجلات الدورية- صفحات للأدب والفن والمرأة والزراعة والقانون.. إلخ، وكان خروج الجرائد إلى هذه الأفاق التي كانت مغلقة من قبل خطوة موفقة سجلها التاريخ.

سادساً- كذلك لا ننسى الزيادة في عدد الصفحات فبعد أن كانت لا تعدو أربع صفحات فقط زادت في بعض الصحف -كجريدة البلاغ- إلى أثنى عشر صفحة، وكانت الأخيرة منها للصور الفوتوغرافية.

سابعاً- من التجديد الذي أصاب الصحافة المصرية في تلك الفترة المزدهرة من حياتها العودة إلى إصدار الصحف الأسبوعية التي تنتمي إلى بعض الصحف اليومية، كما حدث في البلاغ والسياسة وقد أصدرت كل منهما صحيفة أسبوعية وذلك في عام ١٩٢٦، وعاش البلاغ الأسبوعي إلى سنة ١٩٣٠، كما عاشت السياسة الأسبوعية إلى عام ١٩٣١ و أختفا بعد ذلك.

ونحن نعرف أن المؤيد و اللواء سبقت كل منهما البلاغ والسياسة في إصدار المؤيد الأسبوعي واللواء الأسبوعي.

ثامناً- ومن مظاهر التجديد كذلك ظهور المجلات الأدبية الخالصة التي اشتركت في حمل لواء النهضة الفكرية إذ ذاك، ومنها على سبيل المثال:

- مجلة الرسالة- التي أصدرها أحمد حسن الزيات- أسبوعية في عام ١٩٣٣.

- وبجلة الثقافة– التي صدرت عن لجنة تأليف والترجمة والنشر، أسبوعية كذلك، سنة ١٩٣٩، وكان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة حينذاك.

- وبجلة أبولو الشهرية– للدكتور أحمد زكى أبي شادي، للشعر خاصة صدرت سنة ١٩٣٢.

- و مجلتي– شهرية كذلك، لأحمد الصاوي مُحَّد، عام ١٩٣٤.

- و مجلة الفجر التي أصدرها حسن ذوالفقار عام ١٩٣٦.

و غنى عن البيان أن هذه المجلات الأدبية كانت أثراً من آثار النهضة الأدبية التي بلغت أوجها في مصر بين عامي ١٩٢٢–١٩٤٢ نعني في الفترة التي تقع بين الحربين العالميتين الأولى والثانية على وجه التقريب.

وغنى عن البيان كذلك أن هذه المجلات الأدبية كان ثمرة الصراع بين الأحزاب السياسية التي ظهرت بعد صدور دستور سنة ١٩٢٣– وهو الدستور الذي نص على حرية الصحافة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فعندما صدرت مجلة (السياسة الأسبوعية) ملحقة بالسياسة اليومية للدكتور مُحَّد حسنين هيكل– وذلك في التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٦ تحركت رغبة ملحة في قلب صاحب (البلاغ)، وهو الأستاذ عبدالقادر حمزة– لإصدار (البلاغ الأسبوعي)، فأصدره في السادس والعشرين من شهر نوفمبر من نفس السنة، وعن هاتين المجلتين الكبيرتين نشأت أفكار

جديدة ودعوات جديدة واتجاهات جديدة، ومنها على سبيل المثال (الدعوة للأدب المصري)، وهي الدعوة التي نادت بها مجلة السياسة الأسبوعية، وكانت في هذا الصنيع امتداداً (للجريدة) التي قام على تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد، و بأختصار شديد كانت هاتان المجلتان معرضاً لجميع الآراء والأفكار التي اقترنت بتلك النهضة.

"وفي البلاغ الأسبوعي-بنوع خاص- دخل العقاد طوراً جديداً من حياته الأدبية بعد الطور الأول الذي قطعه في مجلة البيان وصحيفة الجريدة"(١)

ثم ظهر الاتجاه إلى التخصص في مجال الأدب والنقد وصدرت (الرسالة) لأحمد حسن الزيات سنة ١٩٣٣ وأشترك في تحريرها طه حسين وأحمد أمين وغيرهما من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وظلوا يشتركون في تحرير (الرسالة) حتى رأوا أن يستقلوا بمجلة خاصة بهم، وهي مجلة (الثقافة).

ثم في نهاية الحرب العالمية الثانية صدرت مجلات أدبية أخرى أخذت تنافس المقتطف والهلال والرسالة والثقافة، ومنها على سبيل المثال:

- مجلة الكاتب المصري (١٩٤٥-١٩٤٨) للدكتور طه حسين.

---

(١) مُحَمَّد يوسف نجم- فن المقالة ص ٧٦.

- ومجلة الكتاب (١٩٤٥-١٩٥٣) للأستاذ عادل الغضبان.

تاسعاً- ظهور الصحافة المتخصصة:

ومما لا شك فيه أن ظهور مثل هذه الصحف يعتبر دليلاً على تقدم الصحافة، وقد شهدت هذه الفترة عدداً من الصحف الزراعية والقانونية والطبية والنسائية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ونحو ذلك.

وشاركت هذه الصحف كلها مشاركة قوية في النهضة الاجتماعية والنهضة التعليمية واللغوية، وغيرها وأنتفع بها الأزهر الشريف والجمعيات التعاونية، وكان لها أثرها الواضح في المجتمع المصري.

و إذا ذكرنا الصحافة المتخصصة فينبغي ألا ننسى (مجلة الأولاد) وهي مجلة أسبوعية مصورة صدرت عام ١٩٢٣ أصدرها اسكندر مكاريوس، المجلة الأسبوعية المعروفة باسم (الصور المتحركة) التي أصدرها أحمد علام الممثل المعروف، نصف شهرية عام ١٩٢٤، ومجلة (المسرح) التي أصدرها مُحَمَّد عبد الحميد حلمي أسبوعية عام ١٩٢٥، واندمجت هذه المجلة في مجلة (الفكاهة) عام ١٩٣٤ وسميت مجلة الاثنين ثم انفصلت مجلة (الاثنين) عن (الفكاهة) في سنة ١٩٦٠.

وأما الألعاب الرياضية فقد استأثرت كذلك بعض الصحف المنتمية إلى تلك الفترة ومنها (مجلة الألعاب الرياضية) أصدرها فؤاد غطاس سنة ١٩٢٣.

عاشراً– من معالم التقدم الفني الذي أحرزته الصحافة المصرية في تلك الفترة من حياتها ظهور آلات الجمع السطرية المعروفة باسم (اللينوتيب) (والانترتيب) بدلاً من الجمع اليدوي وظهور حروف جديدة أصغر حجماً ولكنها أكثر وضوحاً من الحروف القديمة، وبفضل هذه الحروف الجديدة اتسعت الصحف كلها لمادة أكثر مما كانت تتسع له في الماضي.

حادي عشر– أما من حيث التوزيع فقد شمله التجديد كما شمل غيره من الميادين فقد كان توزيع الصحف بأيدي فئة يقال لها (المتعهدية) كثيراً ما كانت تعمد إلى طرق غير نزيهة في التلاعب ببعض الصحف، ولذلك فكرت صحيفة الأهرام في سنة ١٩٣٥ بتأسيس شركة توزيع خاصة بها، وسرعان ما تبعتها (دار الهلال) في ذلك ثم سرت العدوى إلى بقية الصحف.

وأما الإعلان فقد نشط نشاطاً ملحوظاً في تلك الفترة وساعد هذا النشاط ظهور الشركة الإعلانية المعروفة باسم (كليماكس) عام ١٩٢٤، والشركة المعروفة باسم (الإعلانات المتحدة) سنة١٩٣١، واختطت بعض الصحف إذ ذاك –كالأهرام– لنفسها خطة جديدة تقوم على فصل مكاتب الإعلان فيها عن مكاتب الإدارة وتم لجريدة الأهرام تنفيذ ذلك عام ١٩٣٣(١).

١–أحمد حسين الصاوي. مخطوط في تاريخ الصحافة المصرية.

ثاني عشر- محاولة بعض الصحف الكبرى التميز على غيرها من الصحف بالانتفاع بوكالة أنباء عالمية، بحيث يمكن لهذه الوكالة أن تخص الجريدة المصرية الكبيرة بالأخبار التي لا تصل إلى الصحف الأخرى إلا عن طريق الصحيفة الكبيرة التي امتازت بهذه الميزة.

والمثال على ذلك جريدة الأهرام المصرية التي احتكرت لنفسها أحدى الوكالات العالمية، وذلك قبل ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليه (تموز) سنة ١٩٥٢.

أما بعد الثورة فقد تغير الحال وأصبحت الصحف- طبقاً لقرار التنظيم الصادر في سنة١٩٦٠- ملكاً للاتحاد الاشتراكي العربي.

وإذ ذاك أنشئت وكالة أنباء الشرق الأوسط، ثم تحولت هذه المؤسسة إلى وكالة عالمية عربية للأنباء يقال أن مقرها سيكون في دار صحيفة الأهرام.



خاتمة

حرية الصحافة المصرية بين المد و الجزر

هناك حقائق ينبغي أن نلفت النظر إليها عند الحديث عن حرية الصحافة في أي بلد من البلاد أو في أي عصر من العصور.

الحقيقة الأولى– أنه لا وجود لحرية الصحافة بالمعنى الصحيح إلا في مجتمع ديمقراطي يستطيع التخلص من سيطرة رأس المال من جهة، ومن سيطرة الحكام من جهة ثانية، ولكن أين هذا المجتمع الديمقراطي الصحيح الذي يطلق للصحافة حريتها الكاملة؟

الواقع أنه لا وجود لهذا المجتمع في عالمنا هذا، ولكن هل معنى ذلك أن الحرية الصحفية –بصورة أو بأخرى– مفقودة من العالم؟

الإجابة عن ذلك أن هذه الحرية موجودة بشكل ما، ولكنها مقيدة في كل شكل من الأشكال.

الحقيقة الثانية– أن الصحافة –وهي صانعة الشعوب كما يقولون– قائدة ومقودة، مؤثرة ومتأثرة، ومعنى ذلك أنه لا ينبغي لنا أن نجعل من الصحافة شهيدة، ولا ينبغي لنا أن نجعل منها معبودة، بل ينبغي أن ننظر إليها بعين الأنصاف، فلا نلقى عليها كل أوزار الانحرافات التي تظهر في

المجتمع، كما لا ينبغي أن نضيف إليها وحدها فضل استقامة الحياة في المجتمع، إن الشعب دائماً شريك الصحافة في هاتين الناحيتين معاً.

الحقيقة الثالثة– إن الصحافة لا تمثل الرأي العام في كل الأوقات، ذلك أن الصحف كثيراً ما تعانى ضغوطاً كثيرة تحول بينها وبين أداء الواجب الملقى على عاتقها.

الحقيقة الرابعة– أن الصحافة هي حق من حقوق المواطنين في أبداء أرائهم في شؤون المجتمع وسياسة الحكومة تعبيراً مبنياً على قاعدة واحدةً هي الحرية، والصراحة، ولكن النظرة الواقعية إلى الصحف تثبت لنا أن هذه الحرية لا يتمتع بها إلا نفر قليلون يعدون على أصابع اليد وهؤلاء النفر هم رؤساء تحرير الصحف.

الحقيقة الخامسة– أن الصحافة إلى جانب كونها حرة ولكن هذه الحرية مقيدة في نفس الوقت.

يمكن أن ننظر إلى تاريخ الصحافة المصرية على أنها مرت إلى الآن في خمس مراحل:

- المرحلة الأولى من سنة ١٨٢٨–١٨٦٧
- المرحلة الثانية من سنة ١٨٧٦–١٨٨٢
- المرحلة الثالثة من سنة ١٨٨٢–١٩١٩

- المرحلة الرابعة من سنة ١٩١٩-١٩٥٢

- المرحلة الخامسة من سنة ١٩٥٢-إلى الآن.

و قبل أن نوجز الكلام في كل مرحلة من هذه المراحل يجب أن نشير إلى القيود التي وضعت في عنق الصحافة المصرية منذ نشأتها في صورة قوانين أو تشريعات صحفية، و هنا نقول:

"يكاد إجماع الفقهاء والباحثين ينعقد على أن المطبوعات -وفي مقدمتها الصحافة- وجدت في قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨١- أول تشريع ينظم شؤونها و يضبط مسائلها، ولا يعد هذا الرأي مبالغاً فيه إذا نظر إلى قانون سنة ١٨٨١ على أنه أول أداة تشريعية مصرية سايرت نشاط الصحافة وسائر المطبوعات في مختلف مراحلها، فتعرضت للتحرير، كما تعرضت للطبع والنشر والتوزيع».(١)

ولكن ليس معنى ذلك بطبيعة الحال أن قانون سنة ١٨٨١ كان أول تشريع مصري للصحافة، فقد سبقته تشريعات أخرى كثيرة نشير إليها باختصار فيما يلي:

أولاً- التشريع الذي أصدره محمد على في ١٣ يوليه (تموز) سنة ١٨٣٣ وفيه يحرم طبع أي كتاب في مطبعة بولاق إلا بأذن خاص من (الباشا).

١-إبراهيم عبده- تطور الصحافة المصرية- الطبعة الثالثة- ص ٢٥٩.

ومعنى ذلك أن هذا القانون خاص بالكتب فقط، أما الصحف "فكانت علاقة مُحَمَّد على بها علاقة صاحب البيت ببيته"(١)، أي أنه كان يشرف عليها بنفسه ولم يكن في حاجة إلى تشريع ينظم هذه العلاقة.

ثانياً– في عهد سعيد صدر تشريعان أحدهما خاص بالمصريين، والثاني خاص بالأجانب، وكلاهما يشمل الكتب والصحف في وقت معاً، ولذلك نص التشريع الأول منهما في المادة الثانية من مواده على (ألا تطبع أو تنشر جرانيل (يريد جرائد) وغازيتات (وهي الصحف أيضاً) وإعلانات بدون استحصال (أي الحصول) على الرخصة من ديوان الداخلية ومن فعل ذلك بدون استئذان تغلق وتسد المطبعة أي أن القرار جمع بين الكتب والصحف والرسائل والإعلانات، ويقال أن سعيداً في تشريعاته الصحفية كان متأثراً بقانون التنظيمات الصحفية الذي صدر في الآستانة في ٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٥٧، وكانت المادة الأولى من مواد التشريع العثماني المذكور تقول:

"يجب الامتناع بتاتاً عن كل نقد لأعمال الحكومة"، ومن أجل ذلك انشأ سعيد في نظارة الخارجية ما يسمى "بمكتب الصحافة"، وأوجب على هذا المكتب مراقبة الأخبار التي تنشرها الصحف ومراقبة الافتتاحيات كذلك.

٢–نفس المصدر المتقدم ص ٢٦١

غير أن "مكتب الصحافة" لم يكن يعامل المصريين والأجانب على قدم المساواة. بل كان يتحيز للأجانب ويتعسف في معاملة المصريين. وهكذا حرمت الصحافة المصرية في عهد سعيد نعمة الحرية ونعمة المساواة، ولم تكن مقيدة بالتشريعات المصرية وحدها، بل تقيدت بها وبالتشريعات العثمانية في وقت معًا، ومن هذه التشريعات العثمانية تشريع سنة ١٨٥٧ الذي مر ذكره، وتشريع سنة ١٨٦٧ الذي كان صورة من سابقه، وتشريع سنة ١٨٧٠.

والعجيب أن هذا التشريع الأخير اعترف بحرية الصحافة وحرية المطبوعات، غير أن ذلك إنما كان من الناحية النظرية فقط، أما من حيث التنفيذ فلم تستطع الصحافة المصرية أن تفيد منه أية فائدة.

ثالثًا– في عهد إسماعيل، أرخى الرجل للصحافة قليلاً من حبل الحرية، ولكنه كان المرجع الأول والأخير في كل ما يتصل بالصحف، وفي ٢٦ من شهر أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٦٦ وافق إسماعيل على تأسيس (قلم الصحافة) يلحق بنظارة الخارجية وذلك للإشراف على الصحافة ومراقبة التحرير والمحررين، وفي ٢٠ من شهر أبريل (نيسان) ١٨٦٩ صدر أمر من إسماعيل بإعادة تنظيم المكتب المذكور، وأصبح يتألف من خمسة أعضاء: ثلاثة منهم من الأجانب واثنان فقط من المصريين.

رابعًا- أصدر إسماعيل قرارًا بأن تكون الجرائد والمطبوعات تابعة لنظارة الداخلية ابتداءً من ١٣ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٧٨.

وبهذا القرار كذلك أصبح المشرف على (الوقائع المصرية) له حق الإشراف أيضًا على الصحف والمطبوعات الأهلية([1]).

خامسًا- في الثالث عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٨٣ صدر قانون العقوبات الأهلي وبه جزء خاص بجرائم النشر حددت فيه العقوبات التي تحيق بالصحفيين، ثم عدل هذا القانون بآخر صدر في الرابع عشر من فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ وذلك لسد بعض الثغرات القانونية التي وجدت بالقانون السابق.

سادسًا- في الخامس والعشرين من شهر مارس (آذار) سنة ١٩٠٩ ظهرت الحاجة إلى إعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ وذلك في عهد الاحتلال البريطاني الذي أفلس إفلاسًا تامًا من الناحية السياسية.

وبموجب هذا القانون الجديد لسنة ١٩٠٩ أصبح من الضروري لكل من يريد القيام بنشر صحيفة من الصحف أن يحصل على ترخيص من الحكومة لهذه الغاية، ثم لم يكتف الاحتلال البريطاني بذلك حتى أصدر في ١٦ يونيه (حزيران) سنة ١٩١١ قانونًا بإحالة تهم الصحف إلى محاكم

([1]) المصدر المتقدم ص ٢٧٠.

الجنايات، وكانت تحال قبل ذلك إلى محاكم الجنح([1])، وبذلك حرمت الصحافة من التقاضي على درجتين –وفق النظام السابق– أو بعبارة أخرى– حرمت من الدفاع عن نفسها مرتين بدلاً ن مرة واحدة فقط.

سابعًا– نصت المادة الخامسة عشرة من الباب الثاني من الدستور المصري الذي ظهر عام ١٩٢٣ (على أن الصحافة حرة في حدود القانون، وعلى أن الرقابة على الصحف محظورة، وإنذار الصحف أو وقفها أو إلغاءها بالطريق الإداري محظور أيضًا– إلا إذا كان ذلك ضروريًا للنظام الاجتماعي)، وبذلك ربحت الصحافة المصرية ربحًا عظيمًا باعتراف الدستور لها بهذا القسط من الحرية، وإن كانت هذه الحرية قد دخل عليها الضيم من قبل الجزء الأخير من النص المتقدم، وهو الجزء الذي يقول: إلا إذا كان ذلك ضروريًا للنظام الاجتماعي.

ثامنًا– في الثالث والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٠ –بدأ عهد انتكاس الدستور بعد عهد انتعاش الدستور– فظهر مشروع جديد للصحافة، وأصدرت الحكومة في الثامن عشر من يونيه (حزيران) سنة ١٩٣١ قانونًا بشأن القذف والسب– أو على الأصح تعديلاً لقوانين سابقة في هذا الموضوع– أمكن به تعطيل الجريدة بالطريق الإداري وإحالتها للمحاكمة بعد ذلك.

([1]) عبد الرحمن الرافعي– مُحَمَّد فريد– ص ١٨٨.

تاسعًا– القانون الذي صدر في عام ١٩٣٦ وهو القانون الذي ألغى ضرورة الحصول على ترخيص للصحيفة أو ضمان مالي لفتح مطبعة، والاكتفاء بإخطار الحكومة بذلك وتقديم بعض النسخ من كل مطبوع قبل البدء في حركة التوزيع، وذلك كله مع تقديم بيانات خاصة عن أصحاب الصحف ومحرريها وناشريها، والمطبعة التي تطبع فيها، وقد تضمن قانون سنة ١٩٣٦ حكمًا بإلغاء النص الخاص بحق إقفال المطبعة أو إلغاء الجريدة بالطريق الإداري.

عاشرًا– صدر قانون نقابة الصحفيين المصريين في نهاية مارس (آذار) سنة ١٩٤١ لصيانة حقوق الصحفيين وتنظيم علاقات الصحافة بالحكومة والجمهور، والطريقة التي يجازى بها المخالفون أو الخارجون على مبادئ المهنة وقوانينها.

ثم في الخامس من شهر مارس (آذار) سنة ١٩٥١ صدر قانون بإنشاء صندوق معاشات الصحفيين.

وفي شهر يونيه (حزيران) سنة ١٩٥١ أوعزت حكومة الوفد إلى أحد نوابها بتقديم مشروع قانون يبيح للسلطات الإدارية تعطيل الصحف وإلغاءها بالطرق الإدارية وقدم المشروع بالفعل إلى مجلس النواب ولكن الأعضاء وقفوا ضد هذا المشروع وهاجموه بشدة، واشتركت معهم الصحافة في هذا الهجوم. وبذلك خرجت الصحافة من هذه الأزمة الأخيرة ظافرة بحريتها.

والآن نعود إلى الحديث الموجز عن الصحافة المصرية في مراحلها الخمس التي أشرنا إليها:

المرحلة الأولى ١٨٢٨ – ١٨٦٧

وفيها كانت الصحف رسمية، ومعنى ذلك أن الصحافة المصرية نشأت في أحضان الحكام وكانت من وحيهم، وصدرت بأموالهم، ولم نجد من يمثل هذه الصحافة المصرية من الكتاب المصريين خيرًا من رفاعة رافع الطهطاوي في صحيفة الوقائع المصرية وصحيفة روضة المدارس، وكان الهدف الأوحد لهذه الصحافة المصرية في مرحلتها الأولى هدفًا ثقافيًا بحتًا، وأما من حيث الحرية فلم تكن الصحافة إذ ذاك تنعم بشيء من الحرية، ولا كانت تشتمل على أفكار ثورية، برغم أن رائدها (الطهطاوي) شهد في باريس الثورة المعروفة في التاريخ (بالأيام المجيدة)، وهي الثورة التي أطاحت بعرش شارل العاشر.

كما شهدت المرحلة الأولى من مراحل الصحافة المصرية كذلك ظهور الصحف الأهلية إلى جانب الصحف الرسمية وكانت هذه الصحف يومئذ على ضربين:

الأول: صحف يكتبها مصريون كصحيفة وادي النيل (١٨٦٧) وصحيفة نزهة الأفكار (١٨٦٩) وصحيفة روضة الأخبار (١٨٧٥).

والضرب الثاني من الصحف الأهلية- صحف يكتبها غير المصريين كصحيفة السلطنة (١٨٥٧) وقد صدرت فيمصر لمحاربة سعيد ودفاعًا عن السلطان العثماني، والأهرام (١٨٧٦) ومصر (١٨٧٧) والتجارة (١٨٧٩) والمحروسة (١٨٧٩) وهي الصحف التي كان يحررها السوريون الذين فروا إلى البلاد المصرية ليتمتعوا فيها بحرية نسبية ويتخلصوا من ظلم العثمانيين.

وجميع هذه الصحف الأهلية على اختلافها لم تكن تنعم بالحرية؛ شأنها في ذلك شأن الصحف الرسمية سواء بسواء.

المرحلة الثانية ١٨٧٦ – ١٨٨٢

وقد حدثت في هذه الفترة القصيرة أحداث جسام أهمها ما يلي:

١. نشوب الحرب الروسية التركية.

٢. عزل الخديوي إسماعيل عن العرش.

٣. ظهور السيد جمال الدين الأفغاني غارس بذور الدستور والحرية.

٤. قيام الثورة العرابية.

أما (الحرب الروسية التركية) فإنها قسمت الصحف المصرية إلى قسمين: قسم يشايع الأتراك وقسم يشايع الروس، فجريدة مصر لأديب

إسحق كانت تظهر الإعجاب بالترك، وجريدة الوطن لميخائيل عبد السيد أظهرت الإعجاب بالروس، والحكومة المصرية من جانبها تشجع هذه الحرية رغبة منها في التخلص من تقديم المعونة التي يطلبها الأتراك بمناسبة الحرب، وهكذا مارست الصحافة المصرية الأهلية حريتها لأول مرة في تاريخ حياتها.

وأما عزل إسماعيل فقد زاد في جرأة الصحف الأهلية على البيت المالك حتى تطاول إبراهيم اللقاني في صحيفة مرآة الشرق على الأمراء، ورد إليهم الفساد الذي أصاب الحياة المصرية، وحذوت حذوها –أعني حذو مرآة الشرق– صحف مصر والتجارة في ذلك الوقت.

وأما ظهور جمال الدين الأفغاني فقد كان له أكبر الأثر في أقلام الصحفيين المصريين والسوريين. كما كان له أعظم الأثر في أفكارهم التقدمية وفهم معنى الحرية.

وأما نشوب الثورة العرابية فقد زاد من جرأة الصحافة على الحكومة، حتى لقد هاجم النديم غريمه إسماعيل، ثم مرض النديم فاعتذر للصحيفة عن القيام بتحريرها (إلا ما كان خاصًا بإسماعيل فإنه يكتبه لأن في كتابته علاجًا لما به من مرض).

(وخلاصة) القول في المرحلة الثانية من مراحل الصحافة المصرية أنها تمثل شباب الصحافة الأهلية وأنها تمتعت بقدر كبير من الحرية.

المرحلة الثالثة ١٨٨٢ – ١٩١٨

وحجر الزاوية في هذه المرحلة هو الاحتلال البريطاني، وقد انقسمت هذه المرحلة إلى فترات أهمها اثنتان:

– الأولى– من ١٨٨٢ إلى ١٨٨٩

– والثانية– من ١٨٨٩ إلى ١٩١٨

وفي الأولى منهما أصيب المصريون بذهول عظيم من أثر الصدمة التي شعروا بها بوقوع الاحتلال.

ودام هذا الذهول فترة لا تقل عن عشر سنين عمد الاحتلال في أثنائها إلى تعطيل عشرات الصحف وتشريد قادة الثورة.

وفي الفترة الثانية نهضت الصحافة من عثارها وأفاقت من ذهولها ووضعت لها منهاجًا غير مكتوب، وهدف هذا المنهاج هو مقاومة الاحتلال بكل قوة، وذلك في وقت كانت فيه مصر محرومة من السلاح، والمقاومة في ذاتها تقوي من عضلات الصحافة الأهلية ووقع الظلم متى أحسّ به الإنسان كان باعثًا على المضي في كفاحه إلى آخر الشوط.

وقد كان لهذه المقاومة الصحفية التي حلت محل المقاومة الحربية جبهات ثلاث:

- جبهة دينية دافعت عن الدين الإسلامي ضد هجمات الاحتلال.

- وجبهة اجتماعية أخلاقية طالبت بإصلاح التعليم وإنشاء الجامعة. كما طالبت بتخليص المصريين من رواسب الاحتلال، التي هي الشعور بالذل والخنوع وعبارة البسالة والانصياع الأعمى للقوة الممثلة من رجال الاحتلال ونحو ذلك.

- (وخلاصة) المرحلة الثالثة أنها المرحلة التي أطلق عليها في تاريخ الصحافة المصرية اسم (الطور الصحافي من أطوار الحركة الوطنية)، وأنها المرحلة التي نعمت فيها الصحف بقدر لا بأس به من الحرية، هو القدر الذي أعانها على محاربة الاحتلال.

وقد كان في وسع هذا الاحتلال أن يقابل الصحف المصرية حينذاك بالتعطيل والإلغاء، ولكن لم يعمد إلى شيء من ذلك طمعًا منه في أن يتعرف على حقيقة الأحوال في مصر.

ولكن حدث ما لم يكن للمحتلين في الحسبان.

حدث أن اشتدت الصحف في مقاومة الاحتلال حتى كشفت للعالم المتمدن عن سوأته، وجعلته يقف على حقيقته. وكان من أكبر أبطال تلك الفترة ثلاثة وهم:

السيد على يوسف صاحب جريدة (المؤيد) والزعيم الشاب مصطفى كامل صاحب (اللواء) وأحمد لطفي السيد محرر صحيفة (الجريدة).

المرحلة الرابعة ١٩١٩ – ١٩٥٢

وهي تنقسم كذلك إلى فترتين:

– الأولى– فترة انتعاش الدستور

– والثانية– فترة انتكاس الدستور

وفي رأي الدكتور مُحَمَّد حسين هيكل تنقسم هذه المرحلة التي نتحدث عنها إلى فترتين:

– الأولى– فترة الاستقلال المقيد بتصريح ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢.

– والثانية– فترة الاستقلال المقيد بمعاهدة سنة ١٩٣٦.

الفترة الأولى– فترة انتعاش الدستور:

كانت الثورة الشعبية الكبرى لسنة ١٩١٩ قد وضعت لها هدفين لا ثالث لهما: وهما الاستقلال والدستور.

ولذلك نعمت هذه الفترة بحرية صحفية ساعد عليها صدور دستور سنة ١٩٢٣، وفي هذا الدستور نص صريح يقول (أن الأمة هي مصدر السلطات) ونص آخر يقول (أن الحرية مكفولة للجميع).

وهنا ظهرت عقبات في سبيل الصحافة.

ذلك أن الصحافة المصرية إذ ذاك كانت تعاني من جبهات ثلاث هي: جبهة القصر، وجبهة الإنجليز، وجبهة الانقسام الداخلي بسبب المفاوضات الإنجليزية المصرية والنزاع بين المصريين على من هو أحق بالقيام بها: الجبهة السياسية بزعامة سعد زغلول، أو الجبهة السياسية برياسة عدلي يكن أو عبد الخالق ثروت.

وبقيت هذه الجبهات الثلاث وهي أشبه بالأتون الذي تحترق فيه الوطنية المصرية وتصطلي بنارها الصحافة الأهلية.

وفي تلك الفترة ظهرت صحف خطيرة منها:

صحيفة الأخبار– وفيها أخذ أمين الرافعي يدافع عن القضية المصرية– قضية الاستقلال– بكل إخلاص، ويرسم للمفاوض المصري خطة يسير عليها.

وصحيفة السياسة– وفيها وقف مُحَمَّد حسين هيكل وراء الدستور والحريات وأخذ يدافع عنها في شجاعة وإصرار وحكمة.

وصحيفة البلاغ– وفيها وقف عبد القادر حمزة وراء سعد زعيم الثورة، كما أخذ يؤيد القوى التقدمية ويحارب القوى الرجعية.

وصحيفة كوكب الشرق– وفيها طفق أحمد حافظ عوض يتحدث بلسان الوفد، وقد صمد على موقفه هذا إلى آخر لحظة.

وصحيفة الجهاد- وفيها صنع توفيق دياب صنيع زميله أحمد حافظ عوض وأخذ يدافع عن الوفد بوصفه الحزب الذي يمثل أغلبية الشعب.

نعمت الفترة الأولى -فترة انتعاش الدستور- بكل هذه الصحف الوطنية، وكانت هذه الصحف تعكس جوانب أخرى عد الجانب السياسي من جوانب الأمة، وهذه الجوانب الأخرى هي الأدب والعلم والفن ونحو ذلك، وبسبب هذا ازدهرت الحركة الأدبية في مصر في ذلك الوقت ازدهارًا لم تعرف مصر مثله في القرن العشرين إلى اليوم.

الفترة الثانية- فترة انتكاسة الدستور:

في هذه الفترة حدثت أحداث أفضت إلى هذا الانتكاس، وكان أول هذه الأحداث وأد الدستور على يد إسماعيل صدقي رئيس الوزارة المصرية، واستبسال الصحافة في سبيل استعادة الدستور وبعثه من جديد مهما كلفها ذلك من تضحية وقد رأينا كيف أن الأحزاب المصرية كلها -فيما عدا الحزب الوطني الذي يرفض مبدأ المفاوضة مع الإنجليز من حيث هو- قد ائتلفت وأثمر هذا الائتلاف معاهدة سنة ١٩٣٦، وفي تلك الفترة التي نشير إليها خاضت الصحف المصرية معركة أخرى ضد الفساد، فهذه صحيفة السياسة لها في ذلك قضية مشهورة باسم (قضية نزاهة الحكم).

وهذه صحيفة (البلاغ) تحارب المحسوبية والرشوة وقساوة أداة الحكم.

وكان آخر ما شهدته هذه الفترة من الحوادث هو حادث تصدع حزب الوفد، وتأليف حزب جديد باسم (الهيئة السعدية)، ومن أجل هذا الحزب الأخير ظهرت جريدة (الأساس) لتكون لسانه كما كانت صحيفة (المصري) لسان حزب الوفد. ويستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية سنة **١٩٣٩**.

وفي أثناء ذلك تمارس البلاد استقلالاً مقيدًا بمعاهدة **١٩٣٦** وهي المعاهدة التي ألغت الامتيازات الأجنبية، ونفعت إنجلترا في الوقت نفسه من الناحية العسكرية.

المرحلة الخامسة ١٩٥٢ ـ إلى الآن[1]

وهي المرحلة التي لم نشر إليها في غضون هذا البحث الذي وقفنا به عند قيام ثورة الجيش في الثالث والعشرين من شهر يوليه (تموز) سنة **١٩٥٢**، ثم هي المرحلة التي شهدت قانون تنظيم الصحافة سنة **١٩٦٠**. كما شهدت ظهور الميثاق الوطني سنة **١٩٦٢** ولأننا نعيش هذه المرحلة في الوقت الحاضر فأنه لا يسوغ لنا أن نتناولها بالبحث التاريخي وذلك اعتمادًا على الحجة التي تقول: (المعاصرة حجاب).

(والخلاصة) أن صحافتنا المصرية من حيث (المسؤولية) قامت بواجبها الثقافي وذلك في المرحلة الأولى من مراحل حياتها كما رأينا، ثم قامت بواجبها الاجتماعي أي جانب واجبها الثقافي في المرحلة الثانية، ثم نهضت نهوضًا تامًا

---

(١) تاريخ الطبعة الأولى ١٩٧٦.

بمقاومة الاحتلال البريطاني في المرحلة الثالثة: ثم ناصرت قضية الاستقلال والدستور بكل قوتها في المرحلة الرابعة، وفي المرحلة الخامسة قامت تبشر بعهد جديد من عهود مصر هو العهد الاشتراكي.

وأما صحافتنا المصرية من حيث (الحرية) فقد رأينا بوضوح أن هذه الصحافة الأهلية تمتعت بحرية صحيحة في الفترات الآتية:

أولاها– المرحلة الثانية بين عامي ١٨٧٦ – ١٨٨٢ وهي بداية الطريق نحو الحرية.

الثانية– الفترة الثانية من فترات المرحلة الثالثة بين عامي ١٨٨٩ – ١٩١٤– وهي الفترة التي أطلقنا عليها اسم (الطور الصحافي من أطوار الحركة الوطنية).

الثالثة– الفترة الأولى من المرحلة الرابعة وهي الفترة التي أطلقنا عليها اسم (فترة انتعاش الدستور).

تلك هي النتائج التي تمخض عنها هذا البحث الذي نقدمه للقراء ونحن نطمع في أن يواصل العلماء والمؤرخون في بقية البلاد العربية كتاباتهم في تاريخ الصحافة العربية تحقيقًا للمشروع العربي التاريخي الذي دعونا إليه. والله الموفق.

الفهرس

الفصل الأول

نشأة الطباعة في مصر

الفصل الثاني

الأجواء الفكرية للصحافة المصرية في دور النشأة

الفصل الثالث

الصحف الرسمية في دور النشأة

ثورة سنة ١٩١٩

الفصل الرابع عشر

الصحافة المصرية وثورة سنة ١٩١٩

الفصل الخامس عشر

الصحافة المصرية في عهد انتكاس الدستور ومعاهدة سنة ١٩٣٦

الفصل السادس عشر

الصحافة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل السابع عشر

التقدم الفني للصحف المصرية حتى قيام الحرب العالمية الثانية